الطبعة 2

ketab.me
Best Books

@ketab_n
Follow Me

سليمان الهتلان

8.5.2012

الشارع يا فخامة الرئيس

في جذور وتداعيات الربيع العربي

من أجمل ما قرأت
في 2011
عبد الله بن زايد آل نهيان

مدارك

kutub-pdf.net

سليمان الهتلان

الشارع...
يا فخامة الرئيس

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الشارع...
يا فخامة الرئيس

سليمان الهتلان

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الكتاب: **الشارع... يا فخامة الرئيس**

المؤلف: **سليمان الهتلان**

التصنيف: **في الربيع العربي - أسئلة التنمية - بين التفكير والتكفير**
جذور الغضب - الخليج والربيع

الناشر: **دار مدارك للنشر**

الطبعة الأولى : ديسمبر (كانون الأول) 2011
الطبعة الثانية : فبراير (شباط) 2012

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-9953-566-76-4

Madarek مدارك
Madarek Publishing House دار مدارك للنشر
www.mdrek.com - read@mdrek.com

دبي:
مجمع إعمار للأعمال، شارع الشيخ زايد، دبي - الإمارات العربية المتحدة
P. O. Box: 333577 Dubai - UAE
Tel.: 00971 4 361 5177 - Fax: 00971 4 361 5178

بيروت:
فرن الشباك، الطريق العام، سنتر غاريوس، بيروت - لبنان
P. O. Box: 50074 Forn Elchebbak - Lebanon
Tel.: 00961 1 282075 - Fax: 00961 1 282074

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لـ **مدارك**.
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من **مدارك**.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

إهداء

إلى خليفة الهتلان، القادم في وهج الربيع:
عسى غدك أجمل من يومي!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

المحتويات

مقدمة 11

من «نكبة» الماضي إلى «نكسة» الراهن:

المثقف العربي وفوقية الخطاب 15

رؤية الأمريكان للأحداث... ورؤيتنا التاريخ 23

إنقاذ الإسلام من بعض المُسلمين؟ 29

من سرق حذائي؟ 35

ماذا نقول لهم؟ 43

سنة ثالثة! 49

ماذا نريد؟ 55

العرب والإصلاح: وعود الداخل.. وضغوط الخارج 59

دول الخليج: كيف تواجه الفوضى القادمة؟ 63

بشرى لمواطني مجلس التعاون: لا ختم بعد اليوم! 69

هل نحن من هيّأهم لهذا الموت العَبَثي؟ 73

في «شرعية» الدولة: الخروج من مأزق الأيديولوجيا! 77

هل لنا أن نفرح بأعيادنا؟ 83

الخطاب الديني: المأزق والمخرج! 87

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

مؤتمر هنا... مؤتمر هناك! 93
نمر بن عدوان: فرسان على أطراف المدينة! 97
من ثقافة التمر إلى ثقافة النفط! 103
أسئلة النهضة 109
خيارات للموت في الوطن العربي! 115
محررون أم مستعمرون؟ 121
لماذا يكره العرب بعضهم بعضاً؟ 127
متى يعترف العرب: «بلانا فينا»؟! 133
قمة عربية للتنمية الإنسانية... متى؟ 137
«جدران برلين» العربية 143
إشكالية تنموية: الجامعة أم القبيلة؟ 147
أمجاد يا عرب! 153
صراع القيم في العالم العربي! 159
اليمن: ما قبل الحوثية وما بعدها! 165
الفساد: رأس الفتنة! 169
الأتراك الجدد على أبواب العرب 173
عزيزي «المسؤول» العربي! 179
عزيزي «المسؤول» العربي (2) 185
«الكريسماس» في مدننا... ما المشكلة؟ 191
الكتابة في زمن الثورة 197

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

في الإصلاح وثورة الغضب 201
قراءة في الحدث! 205
وماذا عن «الشارع الخليجي»؟ 209
الخليج وليبيا المستقبل! 213
ارحل يا علي! 217
اليمن: وماذا عن شباب التغيير؟ 223
أفول جمهوريات ما بعد الاستقلال 227
ليبيا... العبرة بالنهايات وهكذا كانت النهاية 233
في الربيع العربي: لكيلا تتكرر المأساة 237

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

مقدمة

وأخيراً فعلها «الشارع» يا فخامة الرئيس!

هل باغتك الحدثُ؟ أم أن وَهم البقاء في السلطة إلى الأبد كان قد لبسك ولم تكُن لتصدق أن هذا الموج الهادر غضباً وسمّاه إعلامك بـ«الشارع» لن يقوى على أي حركة ضد الظلم والفساد والاستبداد؟ كيف صدّقت غرورك ووثقت في جمع الفاسدين من حولك، من مستشارين ومنافقين ومُطبّلين، وظننت أن البلاد بما فيها، وبمن فيها، ليست سوى «تركة» يحق لك أن توزعها كما تشاء أو تورثها لأولادك ومن في معيّتهم من أولاد العم وأولاد الخال؟ هل كنت تظن أن حالة البؤس التي فرضتها بغرورك وجهلك وحماقاتك على أهل بلادك ستبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها؟ الآن، وقد قُضي أمرك، حان الوقت كي نقرأ في تجربة ظلمك واستبدادك لعلنا نتعلّم الدروس التي تحمينا من العودة الى أيامك. نحن أدركنا

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الآن أننا شاركناك في صناعتك، في تأصيل ديكتاتوريتك وغرورك، حينما سكتنا على ظلمك وصفقنا لك بمناسبة أو من دون مناسبة. يا رجل: هل تصدق أن فينا من كاد يؤلهك؟ الآن أدركنا سر ضعفنا وسر قوتنا: «الشارع» يا فخامة الرئيس! تركنا لك الشارع فعاث فيه جندُك، من الظالمين والعابثين والفاسدين ومن لا نعرف لهم أصلاً أو فصلاً! وحينما كسرنا جدار الخوف الذي بنيته داخلنا، يا فخامة الرئيس، على مدى عقود، عرفنا كيف نخرج إلى الشارع كي نُخرِجك من قِلاعِك المحصّنة إلى الشارع! وهكذا فبعد أن حررنا «الشارع» من بطشك ورعبك فقد أقسمنا ألا نتركه - «الشارع» - لك مرة أخرى! هنا سر قوتنا يا فخامة الرئيس! لن تستطيع قوة في الدنيا، من اليوم ولاحقاً، أن تعزلنا عن الشارع، أو تمنعنا من الخروج إلى الشارع!

ففي الشارع نهايتك وفيه بداياتنا.

***

«الشارع .. يا فخامة الرئيس»، كتابٌ يوثّق أفكاراً كتبتها قبل بداية الربيع العربي، كانت تُناقِش وتبحث في مشكلات تنموية وفكرية واجتماعية في العالم العربي. تلك المشكلات يمكن اعتبارها من ضمن أسباب تفاقم «الغضب العربي» الذي أشعل فتيلَه الربيعُ العربي. هنا فصول تناقش إشكالات تنموية وفكرية

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

على أصعدة السياسة والخطاب الديني وسوء الإدارة وتفشي الفساد. تلك أسباب يمكن تصنيفها ضمن جذور هذا الحِراك العربي المستمر.

في الكتاب أيضاً مجموعة من الأفكار التي كتبتُها منذ انطلاقة الربيع العربي، وتبحث في تداعيات الربيع العربي وبعض فصوله. وهنا أيضاً احتفاءٌ – مع بعض الحذر – بالربيع العربي وما يصاحبه من مخاوف وحوارات وتجاذبات بين أطياف متعددة في المجتمع العربي. ويبقى الأمل أن يقود هذا الحراك العربي إلى ربيع فكرعربي حقيقي يفتح الأبواب كلها للحوار والتفكير والعلم والعقل.

سليمان الهتلان

دبي 27-11-2011

Twitter: @alHattlan
E-Mail: Sulaiman@hattlan.com

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

من «نكبة» الماضي
إلى «نكسة» الراهن:

المثقف العربي وفوقية الخطاب

2002/09/25

يُحكى أن فلاحاً عربياً عرَّف «الثورة» التي ظل يُرددها أحد خطباء العرب في الستينيات العربية في خطبه الطويلة والمملة، بأنها «أخت البقرة»! ربما كانت تلك الحكاية ليست سوى نكتة تعكس فجوة أكيدة بين وعي المجتمع العربي و«ثورية» بعض القيادات والحركات الثقافية والسياسية التي لم تمتلك آلية حقيقية وواقعية لتطويع الكلام السياسي الكبير ليكون برنامج عمل فاعلاً وممكناً، أو أداة حقيقية لتحقيق بعض الوعود التي كانت ترتجل من فوق المنابر، إذ لم يمتلك الخطاب السياسي العربي «الصوتي» قدرة فهم اهتمامات واحتياجات المجتمع الآنية، ولم يقدم ذلك الخطاب إلى الشعوب العربية غير «الفلس» والمزيد

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

من الإحباطات والهزائم السياسية والعسكرية. أو قد تكون قصة حقيقية تعكس -من ضمن أبعادها الأخرى- حقائق مؤلمة حول موضوعية الخطاب العربي السياسي الفوقي، غير أن المهم -هنا- هو أبعادها الفكرية الأخرى وارتباطها بواقع عربي مؤلم منذ بداية القرن الماضي. فقد تبنّت كثيراً من الدعوات والحركات «الثورية»، جماعات قفزت على ثقافة المجتمع العربي ولم تلاحظ زحف حركته وطول ثبوته وبطء تجدده ووطأة عقده التاريخية.

لم يكن لتلك الحركات وعي ثقافي خاص أو منهج عملي لحركتها أوفكرها، وإنما كانت أنشطتها مجرد ردود أفعال عنفوانية، ورصيدها الثقافي لم يكن غير خطاب سياسي جاهل وبليد وثرثار. هذه الجماعات -ربما نظلم بعضها إن وصفناها بالعصابات تقديراً لحسن نوايا أو سذاجة بعض عناصرها- تقمّصت أدوار «المثقف» و«المفكر» و«السياسي» و«الاقتصادي» و«المخطط» في وقت واحد. أرادت أن تصنع من موات مجتمعها حراكاً ثورياً بأدوات ليست من نتاج بيئة المجتمع العربي أو تركيبته، ومن ثم خلقت خطاباً صوتياً لا يفقه معناه حتى مردّدوه. ومن هناك جاءت ردة فعل «المجتمع» في أنماط من الحيرة والتشتت أو السطحية والبساطة أو -في أحسن الأحوال- في اتساع الفجوة بين المثقف الحقيقي والمجتمع، أو بين المجتمع و«الثورة» من منطلق أن «حماراً تركب عليه خير من حصان يركب عليك» كما يقول المثل الشعبي الذي

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يقوله أهلنا في بلاد السراة حينما يرون من يتعالى على مجتمعه أو يتنكّر لجذوره.

إن الإشكالية في عُلاقة المثقف العربي بمحيطه تعالج أحياناً من مسألة -(إشكالية)- واحدة وهي علاقة المثقف بالسلطة السياسية وليس بمجتمعه، أي كأن الحراك أو التفاعل الاجتماعي ليس إلا استجابة تلقائية لصانع القرار السياسي أو -في أحسن الظروف- شكلاً يُحدد ويشكّل ملامحه ويوجّهه إما «السياسي»، وإما «المثقف»، أو كلاهما معاً في حال الوفاق والصلح بينهما. ولكن يبدو أن سلطة المجتمع وجبروته على ثقافته وشكل حركته تظل هي الأقوى والأكثر هيمنة. من هنا كان لزاماً أن يبحث ليس فقط في علاقة المثقف بالسلطة السياسية، ولكن أولاً في عُلاقة المثقف بالمجتمع: هل هي وصاية؟ هي تفاهم؟ أم هي خضوع واستسلام ومن ثم حصار للعقل والتفكير وهيمنة لرقابة المجتمع وسلطة «الواجب الاجتماعي» وبالتالي وضع مشنقة «الرقابة الذاتية» -وهي ألعن أنواع الرقابة- على رقبة التفكير الحر والمستقل والبناء؟ أم إنها عُلاقة منقطعة الأواصر يلام بسببها المثقف المتعالي والمتكبر على مجتمعه؟

ربما!

لكننا، هنا نعني المثقف الأصيل ذلك الذي يستوعب حجم

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

دوره المفترض في «التغيير الاجتماعي»، ويدرك «ثقل» مسؤوليته تجاه عقله وبيئته.

إن المثقف الأصيل، وفقاً لتفكير وتجارب أسماء فكرية أو حركية كثيرة مثل الكاتب الإيطالي أنطونيو غرامشي، أو الأمريكي نعوم تشومسكي، أو إدوارد سعيد، أو رمز من رموز الكفاح ومحاربة العنصرية مثل مالكوم إكس، ليس ذلك «الثوري» الذي يغرر بالمجتمع ويطفئ شموع الأمل بداخله، أو يتكسّب باسم النضال الوطني و«الثورة» على حساب الضمير والحق. إنه بالتأكيد ليس ذلك الذي أذاقنا -في عز أيام هزائم الستينيات- ذل الهزيمة رافضاً الاعتراف بمسؤوليته تجاهها ومصرّاً على ألا يُسمي الأشياء بأسمائها، كأن يسمي الهزيمة هزيمة بدلاً من وصفها، إلى يومنا هذا، بـ «النكبة» و«النكسة»!

والمثقف الأصيل ليس ذلك الذي يمارس «ديكتاتورية» فكرية من أجل فرض قناعاته على مجتمعه، وليس بذلك الذي حيّر القروي الطيب والمزحوم بهموم المزرعة والرعي، الملتصق ببيئته وثقافته فعرف «الثورة» بأنها أخت البقرة، والمثقف الأصيل ليس ذلك المنتمي إلى «النخبة المتواطئة» - بحسب تسمية الشاعر الجزائري عز الدين ميهوبي - ولا هو بذلك المثقف الشحاذ الذي يكتسي ألوان الطيف بحسب المغنم والمكسب. المثقف الأصيل هو

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ذلك الصادق مع نفسه ومجتمعه، فيملك -أوّلاً- أدوات التحليل والفهم لتاريخ مجتمعه وجذور ثقافته. إنه ذلك الذي يؤمن بأن دوره الحضاري ليس في الاستحواذ على شموع المعرفة وحبسها في برجه العاجي، ولكن في إنارة غرف وأقبية المحيطين به من مكافحين وعاملين وغلابه من غير تعالٍ أو تكسّب أو وجاهة. إنه ذلك الذي يملك أدوات تحليل الظواهر في سياقها التاريخي والاجتماعي ويستطيع قراءة جذورها وظروفها.

يصف إدوارد سعيد، في سلسلة محاضراته الشهيرة في (REITH) البريطانية، عام 1993، المثقف بأنه فرد يحمل دوراً محدداً (مسؤولية) تجاه مجتمعه، ولا يمكن أن يسمح بأن يقل شأنه ليصبح مجرد ساعٍ وراء مكاسبه ومصالحه الشخصية. إن المثقف، وفقاً لسعيد، هو فرد في إطار فريق يتبنّى أو يُعبّر عن رسالة، فكرة، رأي، موقف، وفلسفة من أجل المجتمع، وهذا الدور لا يمكن القيام به من غير الشعور بأنه -أي المثقف- شخص قادر على طرح أسئلة محرجة أمام الملأ ومهيّأ لمواجهة أنماط تقليدية من التفكير أو أحاديته «دوقماتزم» -من دون أن يخلق هو نفسه «دوقما» جديدة -ليصبح إنساناً ينطلق من مبادئ إنسانية لا تخضع لإغراءات المصالح والمكاسب الشخصية على حساب مجتمعه ومسؤولياته.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

إن المثقف الحقيقي لا بد من ألا يتعالى على مجتمعه، وفي الوقت نفسه لا يُجامل مجتمعه فيستسلم، بالتالي، للسائد والمكرر النمطي في التفكير وتقييم الظواهر وتحليل الأحداث. ولكنه -أيضاً- يتعالى على الدخول في «معمعة» المنافسة المريضة التي تقود إلى استخدام قاموس الشتيمة أو التهم الجاهزة والمفصّلة تفصيلاً من مثل: هذا مثقف عميل، أو علماني، وهذا متأمرك، أو منبهر... إلى آخر قائمة قاموس المثقفين الصوريين الذين يملأون الساحة العربية حتى ينزوي، بوجودهم وكثرتهم وطنينهم، المثقف الأصيل ويعيش في غربته وحسرته في ظل تواطؤ الظروف مجتمعة ضده، ما قاد إلى «قلة مروءة» فكرية وثقافية انتشرت معها ألقاب تُمنح لمن هب ودبَّ مثل ألقاب «مفكر» و«مثقف» و«كاتب» و«ناقد».

إن المثقف الحقيقي، الذي تتطلع إليه المجتمعات العربية في ظل هزيمة الراهن، هو ذلك الذي يرفض أن يمارس أدوار «شاعر القبيلة» فلا يحترف مديح الذات وشتيمة الآخر، ويتعالى على لغة شعراء المدح والهجاء. إنه ذلك الذي سيفكّر جدّياً، من غير سخرية أو تعالٍ، في تعريف الفلاح الواقعي والمرتبط عملياً بواقعه وظروفه واهتماماته حينما عرف «الثورة» بأنها ليست إلا أختاً للبقرة.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

إن ما يستحق الحوار والنقاش والمناظرة ليس فقط علاقة المثقف الحقيقي بالسلطة السياسية في مجتمعه، ولكن أيضاً وأكثر أهمية، عُلاقته بمجتمعه وسلطة مجتمعه، فالمجتمع من حقه أن يكون قطباً للحوار في علاقاته بالسياسي والثوري والمبدع والمجنون والمثقف الأصيل أو المزيف.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

رؤية الأمريكان للأحداث ... ورؤيتنا التاريخ

2003/04/17

يقول مروان الرحباني، مخرج مسرحية ملوك الطوائف، إن مسرحيته أبكت الجمهور وأضحكته. كنت وسط جمهور غفير نشاهد المسرحية ونضحك. ضحك كأنه البكاء. ضحكت كثيراً حتى رأيت بعض الرؤوس في المقاعد الأمامية تلتف إلى الخلف وكأنها تعاتب: أزعجتنا!

تحكي المسرحية، في قالب موسيقي استعراضي أنيق ومترابط، نهاية الوجود العربي في الأندلس الذي تم على أيدي «ملوك الطوائف» الذين حاكوا المؤامرات بعضهم ضد بعض، وتقاسموا الدويلات بين أولاد العم وأولاد الخال وأولاد الخالات. ملوك سجنت نفسها في وسط من المنافقين والأفاكين الذين يتكسّبون بخسائر ملوكهم وهزائم إماراتهم. يعقدون الاجتماع

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تلو الاجتماع، يندّدون في العلن بملك إسبانيا ويتآمرون معه سراً حتى ابتلعهم واحداً بعد الآخر. أشقاء في العلن أعداء في السر. مشهد حي نراه يتكرر، على الهواء -بخاصة في كل قمة عربية- بالتفاصيل نفسها، وكأن التاريخ لم يعلّمنا أنه، أحياناً، يُعيد نفسه. تصل المسرحية، في الختام، إلى رسالة مباشرة تنادي إلى «عرب المستقبل مش عرب التاريخ»!

تقول لي باحثة أمريكية في واشنطن إن الفارق الكبير في رؤية الأمريكان للأحداث هو «رؤيتنا للتاريخ. نحن لا نعيش مثلكم في الأمس. نحن نتهيّأ ونتطلّع دائماً إلى الغد». عاش العرب طول أزمنتهم يُغرّدون على انتصارات الماضي، أو يندبون مآسي الماضي. تحوّل تاريخنا في أغلبه إلى العاشر من عاشوراء. بكينا وما زلنا نبكي داحس والغبراء. لعنا وما زلنا نلعن أبو لهب ومن كان على ملّته. بكينا وما زلنا نجلد ظهورنا ونذرف دموعنا ودماءنا حزناً على الحسن والحسين. قلنا إن الدولة العثمانية كانت سبب تخلّفنا. قال بعضُنا إن نهاية الدولة العثمانية كانت نهايتنا. اتهمنا الاستعمار بأنه سبب انقساماتنا. قلنا إن إسرائيل عائق ضد تقدّمنا. ردّدنا إن أمريكا وحدها كانت وراء كل هزائمنا. رفضنا أن نعترف بأي مسؤولية فنحن «شعب الله المظلوم» ولا حيلة لنا ولا قوة. إننا أمّة برعت في الهروب من مواجهة حقائق هزائمها وتخلّفها وفشلها. مسرحية «ملوك الطوائف» وحدها كانت ضوءاً

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

منيراً في ظلمة الخوف من هزائم ما تكاد تنتهي حتى تبدأ. إن أمة لا تحتفي بالفنون والإبداع هي أمّة ميتة لا تستحق الحياة. في بيروت رأيت شيئاً من ضوء المستقبل. وحدهم اللبنانيون -في جغرافية الخوف والنفاق والتخلّف التي يعيشون وسطها- يمارسون فرحهم في العلن. إنك إن رأيت شعباً يمارس عشقه للحياة في العلن من غير وجل أو خجل فأنت أمام شعب حي يستحق بجدارة أن ينتصر على ظلمات الماضي وضلالاته.

لكن لعنة الماضي القريب والبعيد لا تزال في الأفق. في بيروت، كنت أسأل اللبنانيين في الشوارع والمقاهي والحافلات وسيارات الأجرة عن تجربة الحرب الأهلية عسى أن تكون خلقت منهم «لبناني المستقبل مش لبناني التاريخ»؟ حاولت أن أتجاهل كثيراً مما سمعت لكن وجه ذلك اللبناني المسن في أحد مقاهي الحمراء يُصر على ألا يغيب عن عيني وهو يقول بحسرة: «القلوب بعدها مريضة».

حاولتُ أن أفهم لماذا يُصر بعض أبناء الجيل الصاعد في بيروت على رغبتهم في عودة الحرب ولم أفهم. قال لي بعضهم: «بدنا نعمل مصاري». تقول لي منى شاهين، باحثة لبنانية، «هؤلاء الذين يتمنّون عودة الحرب لم يعيشوا الحرب يوماً واحداً ولم يكتووا بنارها اللعينة». أسأل جبران تويني (اغتيل في 2005/12/12)،

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ناشر جريدة النهار، عن لبنان ما بعد الحرب فيعيدني إلى لبنان الحرب: (كانت الحرب في لبنان أهلية في عامها الأول ثم تحوّلت إلى حروب عربية/عربية على أرض لبنانية). يُصرّ جبران تويني على أن النظام الحاكم في لبنان الآن «يتعامل بعقلية الغالب والمغلوب»، وهنا الخطورة. إن الحروب الأهلية بعد أن تهلك الأخضر واليابس لا تنتهي بمنتصر ومهزوم، ولنا في تجارب عربية أخرى عبرة. في كل مناسبة أتحدّث فيها عن وحدة المملكة، أصر أن وحدة بلادي تحققت بكفاح وطني شامل وحرب أهلية لم تنته بمنتصر أو مهزوم بل بوطن واحد ساهم بتحقيق وحدته، حتى أولئك الذين حاربوا ضد وحدته. كنت في مقالة سابقة أصر على أن هناك مآسي في تاريخنا القريب ينبغي ألا تُنسى لأنها جزء من صراعنا الطويل مع الاحتلال الإسرائيلي تحديداً، لكن اللعب على ذاكرة بعض الجروح الوطنية التاريخية -كما في المثال اللبناني- والتعامل مع الراهن وفق عقلية «منتصر» و«مهزوم» في تجربة وطنية دفع كل اللبنانيين ثمناً غالياً لها، ليس إلا محاولة لنبش الجراح وعودة التطاحن ونجاح لعقلية التقسيم والتفريق ما بين أهل «الشرقية» وأهل «الغربية»، أو بين «مسلم» و«مسيحي»، أو «سني» و«شيعي»، أو «قومي» و«أصولي»... والقائمة تطول!

يعرف ديفيد هيرست أن هذه هي زيارتي الأولى لبيروت، ولهذا يُصر أنني لم أر الجمال الحقيقي والطبيعي لهذه المدينة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

المثيرة. أقام هيرست في بيروت منذ أكثر من ثلاثة عقود. عشق المدينة يوم كان جمالها طبيعياً وتلقائياً. لكنه الآن يفكر في الرحيل والإقامة في اليونان بعد أن ضاق ببعض المشاريع العمرانية الجديدة التي تحاول اغتيال شخصية بيروت وجمالها. على الغداء في أحد المطاعم البيروتية القديمة كان الصحفي المتجدد هيرست يقص عليّ حكايات منعه من زيارة بلدان عربية كثيرة، حيث وُضِع اسمه في «القائمة السوداء» في أكثر من بلد عربي لأن بعض أجهزة الرقابة العربية لم يعجبها ما كان يكتبه في الغارديان. أحد أسباب فشلنا العربي أننا لا نميّز ولا نقدّر أصدقاءنا في دوائر الإعلام العالمي الرصين. حاولت أن أعزي السيد هيرست بأن أذكّره بأن تلك الأجهزة البليدة ليست سوى أدوات تجهيل للمجتمع العربي، وأن مثله -من كتّاب ومثقفين عرب- قد وضعتهم أجهزة بلدانهم على قوائم الرقابة بكل أشكالها التعسفية غير أن ابتسامة ديفيد هيرست الساخرة ذكّرتني بأنني أتحدث إلى رجل خبر المنطقة العربية وأنظمتها السياسية ووسائل الرقابة فيها منذ عقود.

أغادر بيروت نحو محطة أخرى مختلفة وبعيدة.

أعترف أنها المرة الوحيدة التي أغادر فيها بلداً عربياً وأنا أتمنى طول البقاء وأمنّي نفسي بالعودة قريباً، فما زال في بيروت ما يستحق المغامرة!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

إنقاذ الإسلام من بعض المُسلمين؟

2003/06/14

قبل أيام، وفي زيارة عمل عاجلة إلى واشنطن، قابلتُ على الغداء إمام مسجد جامعة جورجتاون، أستاذ مقارنة الأديان، يحيى الهندي، بحضور الدكتورة فاطمة الصايغ، أستاذة التاريخ في جامعة العين الإماراتية. واستمعتُ إلى قصص محزنة عن معاناة المسلمين في أمريكا منذ أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001. وكل القصص التي رواها الشيخ يحيى تناقض التهريج الذي عم مجالسنا العربية في السنة الماضية والدعاية الكاذبة التي تروّج لزيادة أعداد الداخلين في الإسلام بعد أحداث أيلول/سبتمبر الإرهابية التي جرجرتنا جميعاً إلى هزائم ومصائب الزمن الراهن. هذه الأحداث، كما يؤكد الهندي، شككت كثيراً من الناشئة في أوساط الجاليات المسلمة الأمريكية بعقيدتها إلى درجة أن بعضهم هجر الإسلام، إنْ لم يرتد نهائياً عنه. وساهمت أعمال العنف المتواصلة التي شهدها العالم خلال السنوات الماضية في

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تشكيل صورة ذهنية عن الإسلام في الغرب وأقصى الشرق، كما لو أنه دين يحرّض على العنف، وعلى قتل الأبرياء من المدنيين، وعلى كره غير المسلمين من يهود ومسيحيين وهندوس وغيرهم. واعتدنا على اتهام الإعلام الغربي بتكوين وتأصيل هذه الصورة المزعجة عن الإسلام، لكن الحقيقة المُرّة هي أن بعض المسلمين أنفسهم هم من يؤصّل لهذه الصورة بسلوك يُنكره كثرٌ من المسلمين، ويدفع ثمنه المسلمون أنفسهم، ما وضع قيادات العمل الإسلامي الإنساني المتحضّر في مأزق: كيف يُمكنهم تقديم الوجه الإنساني لدين عظيم في وقت لا يسمع فيه العالم كله غير ضجيج القنابل وتُهم التكفير وقتل النفس البريئة وأعمال الانتحار؟ إن العنف لا يولّد إلا العنف والكراهية. إن الحقيقة المُرّة هي أن ثمة من استخدم الدين غطاءً أو واجهةً لطموحات سياسية ليس هذا مقام تبريرها أو رفضها، لكن الواقع أن الإسلام -كدين وثقافة- تأثّر جداً باستغلاله كأداة في صراعات سياسية وطموحات خاصة. روى لي كثرٌ من المسلمين في أمريكا كيف أن أطفالهم بدأوا يشككون بقيم الإسلام التي تحاول قيادات العمل الإسلامي في أمريكا ترسيخها في أذهان الناشئة من جيل المسلمين الجديد في أمريكا.

وقصَّ علي الإمام يحيى قصصاً محزنة عن بعض المسلمين -بخاصة من البلاد العربية- الذين يأتون إلى الدعوة في أمريكا وهم لم يقرأو تاريخ أمريكا ولا واقعها الاجتماعي أو السياسي.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يقول إن خطيباً من إحدى دول الخليج كان ينصح الجالية المسلمة في إحدى الولايات المتحدة بوجوب مضايقة «الكفار» في الطرقات العامة، وفي المصاعد الكهربائية، وفي المباني العالية، وأثناء قيادة السيارات في الطرق العامة. وذكّرني بقصة طلاب عرب في جامعة أمريكية صغيرة غرب فرجينيا منحتهم الجامعة قاعة خاصة وخصصتها مسجداً للطلاب المسلمين في تلك الجامعة. فبدأ خطيب المسجد أولى خطبه في أول يوم جمعة تُقام في ذلك المسجد بأن حمد الله «على أن هيأ لنا عبادته بين عبدة الصلبان»! وفي واشنطن قبل سنوات استقبل أحد الزملاء العرب قريبه القادم لزيارته وسار معه في منطقة جورجتاون حتى إذا رأى أمريكياً معاقاً دعا زميلنا: «اللهم اشفه ولا تبتلينا»، فصاح به قريبه، محذراً أنه لا تجوز الدعوة بالخير للكافرين، بل نصحه أن يدعي عليه بمزيد من الأمراض والعقاب. وآخر زارنا في أمريكا ونصحنا بأنه علينا ألا نبتسم بوجوه الأمريكيين، بل أن نريَهم الغلظة على وجوهنا! أيُّ ثقافة تنجب مثل هذا الجهل!

هؤلاء الذين يفكرون بهذه الطريقة ليسوا سوى ضحايا لثقافة لا تحث على التسامح مع غير المسلمين وتضلل الناشئة في رؤيتها لذاتها وللآخرين. يُحزنني أن أرى العشرات من أبناء القرى الصغيرة في جنوبنا وشمالنا تُستغل كـ «حطب» لأصحاب المخططات السياسية التي تختفي خلف خطاب أيديولوجي لا

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يتسامح مع أحد. إنني أتحدى أيّاً من هؤلاء الذين يصدّرون فتاوى الجهاد بالجملة أن يرسلوا فلذات أكبادهم أو أقاربهم إلى أتون الحروب الظالمة غير المتكافئة في أفغانستان والشيشان والعراق وغيرها. إنها مسؤوليتنا الآن أن نحذّر إخوتنا ومَن حولنا من تضليل دعاة الفتن الذين يُفصِّلون الفتاوى وفقاً لمصلحتهم الخاصة على حساب أبنائنا، وعلى حساب سمعة وطننا وديننا ومستقبل أمتنا.

نستطيع أن ننكر سياسات الحكومة الأمريكية وغيرها من الحكومات التي لا تتورّع عن دعم الظلم الإسرائيلي المتواصل، ونستطيع أن نفهم هذا الغضب العارم ضد الحرب على العراق، لكنه من الخطأ ومن الظلم لمجتمعاتنا أن نخلط بين موقف سياسي لحكومات وثقافة شعوب. إذا كنا دائماً نحاول إقناع العالم كله أن أعمال العنف التي تقوم بها منظمات أو جماعات تسمي نفسها «إسلامية» لا تمثل غالبية المسلمين، ولا تعكس تسامح الإسلام وإنسانيته فكيف لنا أن نرى موقفاً سياسياً ما تتخذه واشنطن ولا يروق لنا كما لو كان موقفاً يؤيده جميع من في أمريكا؟ لقد تجاوز عدد الأمريكيين الذين تظاهروا ضد حرب أمريكا في العراق -على سبيل المثال- أكثر من أعداد كل الذين تظاهروا ضد تلك الحرب في العالم الإسلامي كله. إننا حينما ندافع عن صور نبيلة في المجتمع الأمريكي فلسنا بالضرورة ندافع عن أمريكا أو حكومتها، ولكننا بالدرجة الأولى نُدافع عن الحقيقة التي غيّبها

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الغضب السياسي في الشارع العربي واستغل غيابها من يريد تضليل شبابنا واستخدام غضبهم وحسن نواياهم وغيرتهم على دينهم وعلى أوطانهم وقوداً لمغامرات خاسرة منذ البداية.

إن على العقلاء في مجتمعنا من قيادات اجتماعية وفكرية أن تُعيد النظر -برؤية عاقلة وواقعية تأخذ بالحسبان حقائق الزمن الراهن وتحديات المقبل- في خطابنا المحلي وفي مناهجنا وتفكيرنا تجاه الآخرين كي تقطع الطريق على من يسعى إلى استخدام شبابنا وقوداً لأعمال العنف من أجل حسابات سياسية خاصّة تسيء ليس فقط لمجتمعنا السعودي، ولكنها تشوّه صورة الإسلام، وتنفّر حتى الناشئة المسلمة من قيمه الأصيلة وثقافته السمحة.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

من سرق حذائي؟

2004/08/02

لديّ اعترافٌ ترددتُ بإعلانه، إلا أن الموقف يستدعي الاعتراف العاجل: لقد أيقنت أخيراً أن هناك «مؤامرةً» خطيرةً تُحاك ضدي، وإلا كيف تُسرق حذائي من المسجد ثلاث مرات في أقل من أسبوعين؟ أنا لا أستبعد أن يكون ثمة أيد أجنبية وراء المؤامرة على الرغم من أن أهل المؤامرات الداخلية قد نجحوا كثيراً في صرف أنظارنا عن مؤامرات الداخل بالحديث الطويل عن مؤامرات الخارج. فكّرتُ بالأمر بحثاً عمن يقف وراء سرقة حذائي من المسجد: هل يمكن أن تكون إحدى شركات الأحذية الإيطالية انتقاماً من شرائي أحذية أمريكية وإسبانية وتركية؟ ربما. أم إنها مؤامرة مدبّرة من «اللوبي اليهودي» في واشنطن انتقاماً من تواجدي في الماضي القريب في واشنطن، ما قد يُشكّل خطراً على مصالح إسرائيل في العاصمة الأمريكية؟ لِمْ لا؟ لكنني ربطتُ بين سرقة حذائي من المسجد و«الماسونية» العالمية.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

نعم «الماسونية العالمية» هي التي تقف وراء هذه المؤامرة. وإذا تحدّاني أيٌّ ممن يسخر بـ«نظرية المؤامرة» من المثقفين العرب فعندي مبررات تُبطل دعواهم. هناك ثلاثة احتمالات مهمة وراء سرقة حذائي من المسجد:

1 - المشي حافي القدمين من المسجد إلى السيارة ما قد يُعرّضني للمسامير أو يجبرني على تذوق حرارة الإسفلت اللاهب وهذه عقوبة بسيطة لقاء تعرّضي لمصالح إسرائيل في أمريكا.

2 - سرقة حذائي من المسجد قد تؤكد الفرقة والخلاف بين المسلمين، إذ قد تدفعني هذه «المؤامرة» إلى الشك بكل من في المسجد، أو قد تخرب أخلاقي فأضطر إلى تبرير سرقة حذاء أخرى من المسجد والبادي أظلم.

3 - أو لعلّها «مؤامرة» خطيرة لثني الشباب المسلم عن الصلاة في المسجد.

شكوت لأحد الأصدقاء من تكرار سرقة حذائي من المسجد، فاقترح عليَّ أن أخصص حذاءً بالية للذهاب بها إلى المسجد، فلا يطمع بها أي أحد. لكنني أخذت بالاقتراح فسُرِقَتْ حذائي البالية في أول تجربة، وهذا ما أكد شكي بـ«المؤامرة» الدولية التي تقف وراء سرقة أحذيتي. وهذه المؤامرة -التي بدأت أكشف بعض خيوطها- تستدعي الدعوة إلى عقد مؤتمر

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

دولي عاجل حول الأبعاد الخطيرة لسرقة أحذية المسلمين من مساجدهم، ليس فقط لأن هذه الظاهرة تتسبب بهدر اقتصادي يُضعف اقتصاديات العالم الإسلامي (تسرق حذاؤك فتضطر إلى أن تشتري أو تسرق حذاءً أخرى!) ولكن أيضاً لأن ذلك قد يُشعِل فتيل الفتنة بين شباب المسلمين، والدليل هو أنني الآن أشك بكل من حولي، داخل المسجد وخارجه، بحثاً عن الأقدام الخسيسة التي هربت بحذائي.

لكنني حاولت أن أنظر إلى المشكلة برؤية عملية، ففكّرت ببعض الاقتراحات العاجلة حلاً للمشكلة. لماذا لا نؤسس جمعية أهلية لحماية حقوق أصحاب الأحذية المسروقة من المساجد، يتكوّن أعضاؤها من المشهود لهم بالصلاح وعمل الخير والمواطنة الصادقة ممن لا يقولون «لا» أو «نعم» بشكل صريح واضح، ما يفتح الأبواب لكل الاحتمالات وفقاً لظروف المرحلة؟ ومن مهام هذه الجمعية أو الهيئة - لا تهتم كثيراً بالتسمية - رد الاعتبار لمساجدنا عن طريق خطط فاعلة لإيقاف حرامية الأحذية عند حدهم. ولعل أول مشروع ننتظره من هذه الهيئة هو تركيب كاميرات فيديو عند مداخل المساجد، ويمكن الاستعانة -إن لم تفِ الميزانية بمثل هذا المشروع- ببعض الكاميرات المعلقة فوق الإشارات المرورية في بعض شوارعنا الفرعية. وإذا لزم الأمر فيمكن سرقة بعض هذه الكاميرات، وهناك ما يبرر هذا الفعل ما دام الغرض هو «خدمة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الصالح العام»، أو «درء المفاسد» ورد الاعتبار إلى بيوت الله. لكنني سوف أرجو أعضاء هذه اللجنة ألا يكابروا وأن يعترفوا أن هناك أزمةً أخلاقيةً في مجتمعنا، وما سرقة الأحذية من المساجد إلا واحدة من أوجهها. ولكيلا أتّهم بأنني أسعى إلى التحريض ضد سمعة مجتمعي، فإنني آمل أن أطمئنكم أن هذه الظاهرة هي إشكالية عربية عامة، وهناك -على أقل تقدير- ألف دليل على أن «السلوك الحضاري» عند العرب ليس إلا «كلاماً» في كتب التاريخ، وفي زوايا بعض الكتّاب العرب من بقايا مرحلة الستينيات. وأغلب الشواهد تؤكد لي أن الحضارة ليست كلاماً طويلاً في كتب التاريخ ورواياته، ولكنها -أوّلاً- سلوك في الشارع، في البيت، في الأماكن العامة وفي المساجد. اذهب إلى أقرب مسجد حولك وانظر إلى الفوضى التي تهيمن على دورات المياه ... ألا يصيبك منظر دورات المياه العامة في مساجدنا ومطاراتنا وكثير من مطاعمنا بالقرف والاشمئزاز؟

لا تقل لي إن السلوك الحضاري هو ما نقرأه في كتب التاريخ عن أمجاد العرب وشهامتهم، فالتاريخ العربي الحقيقي -مثله مثل واقع العرب اليوم- مليء أيضاً بقصص «قطّاع الطرق» وقراصنة البحر وتجار العبيد و«همج» الأماكن العامة و«قلة أدب» المارة وإهانة الناس من ذوي الإعاقات الجسدية والسخرية من أشكال الناس وكلامها. انظر كيف يُدخّن العرب في الأماكن العامة،

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

في العالم العربي أو عند سفرهم إلى خارجه، بشكل يستفزك، خصوصاً وأنت تقرأ لوحة «ممنوع التدخين»، وتشاهدها في كل الاتجاهات من حولك. استمع إلى التعليقات البذيئة التي يُرددها كثير من «رجال» العرب كلما مرت بهم سيدة محترمة تعبر الطريق بأمان. توقّف عند «همجية» بعض العرب في طوابير الانتظار في المطارات والدوائر الحكومية. تأمّل كيف يتحايل العرب بحثاً عن أي طريقة للاعتداء العلني على حقوق الناس في الطوابير متجاوزين حدود الأنظمة والأخلاق معتزين بالقدرة الفائقة على سرقة حقوق الآخرين والوصول إلى الغاية على حساب الحق والعدل. اسأل لماذا يُمارس كثير من العرب عنصرية صريحة ضد غيرهم، خصوصاً من أهل البشرة الداكنة والسوداء. لا تقل لي إنها حالات فردية لأنها فعلاً ظواهر عامة. أما الحالات الفردية النادرة فهي الحالات التي ترى فيها الناس، في العالم العربي، تحترم حق الآخرين أو تحترم حُرمة الأماكن العامة، وتلتزم بالنظام وتراعي حقوق الآخرين في الأماكن العامة.

قبل مدة، سافرت عن طريق البحر بين مدينة عربية ومدينة أوروبية، ورأيت الفارق الحضاري المهول بين المدينتين في أقل من ثلاث ساعات. سافرت بحراً إلى أوروبا واستغرقت الرحلة ثلاث ساعات، لكنني حينما وصلت إلى الضفة الأوروبية اكتشفت أن الفارق الحضاري بين المدينتين لا يقل عن ثلاثمئة سنة. في

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

مقابل الطوابير الطويلة في الضفة العربية التي يتجاوزها العشرات من المسافرين العرب بطرق الفهلوة (عيني عينك) وقلّة الحياء التي تُمارَس ضدك من أجل ابتزازك في العلن، والإهانات التي تمر بها في طريقك للخروج، تصل بسلام إلى الضفة الأوروبية فيقابلك، على الفور، وجه إنساني محترم يحترم إنسانيتك أوّلاً، ويضمن حقك في الطوابير ولا يمنّ عليك بختم الدخول أو يُمارس ضدك ابتزازاً رخيصاً كي يسمح لك بالزيارة.

في أي مكان أسافر إليه، تستفزني مناظر «الهمجية» العربية وهي تستهتر بالآخرين، أو تهزأ بالمارة، أو تُمارس نزقها ومراهقتها بشكل علني يستفز أخلاق الناس ويقتحم خصوصيات الآخرين.

ولهذا فإنني أرجوكم ألا تعيدوا عليَّ تلك الأسطوانة البليدة القائلة إن العرب أهل تاريخ وحضارة وثقافة وأخلاق وشهامة. أغلب التجارب الراهنة تؤكد همجية العرب وقلة أدبهم وضعف وازعهم الأخلاقي. ماذا يهمني من الافتخار بحكايات التاريخ وقصصه إذا كان سلوك العرب اليوم يعكس حقائق الجهل والعنف والكذب وقلة الأدب في السلوك العربي؟

خلال جولة بقصر الحمراء في إسبانيا، كبر رأسي ومرشدنا يتحدث عن المهندسين العرب الذين بنوا القصر. أخذتني الحميّة، فقلت مازحاً لأستاذة أمريكية إلى جواري: هذا ما بناه أجدادي.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

وما إن خرجنا من القصر حتى نظرت إليّ قائلة: «انظر ما فعله أبناء جيلك العرب على جدار القصر» ثم أشارت إلى كتابات عربية خطتها أيد عربية عابثة على الجدار التاريخي: «ذكريات أبو سعود وأبو محمد»!

ولهذا فإنني أسأل من يطالب بتحسين صورة الوجه العربي في الخارج أن يكون عاقلاً وموضوعياً في طموحه: كيف يمكننا أن نكذب على «الآخر» ونصوّر له وجهاً عربياً جميلاً ونحن نعرف قبح الوجه العربي وسوأته؟ تلك المطالبة، في كثير من أوجهها، ليست سوى دعوة إلى الكذب الصريح، ومحاولة لا بد من أن تفشل لتجميل القبح العربي الذي لن تنفع فيه كل أدوات التجميل ووسائل الديكور.

ولهذا فإنني أسحب كلامي السابق عن «المؤامرة الخارجية» التي تقف خلف سرقة حذائي من المسجد لأعترف -مع شديد الألم- بأن ما يحدث في كثير من مساجدنا ليس سوى مثال آخر لغياب السلوك الحضاري في تعاملنا وممارساتنا حتى في بيوت الله الآمنة.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ماذا نقول لهم؟

2004/09/06

ما زلت أتذكّر وجه ذلك الأب المسلم في واشنطن وهو يشكو من حيرته بمواجهة أسئلة أبنائه التي تدور بمجملها حول الإسلام والإرهاب. هاجر الأب شاباً يافعاً من باكستان، وكان محصّناً بإيمانه الكبير أن الإسلام دين محبة وسلام. نشأ أبناؤه في مجتمع مختلف لا يسمع عن الإسلام سوى أخبار العنف والذبح واختطاف الأطفال وتفجير المساكن وقتل الأبرياء. كان يكرر الإجابة نفسها التي يلجأ إليها كلما تداولت نشرات الأخبار كارثة جديدة أبطالها من المسلمين: «هؤلاء لا يمثّلون الإسلام». ملَّ أبناؤه من تلك الإجابة التي لم تعُد تمنحهم القوة والثقة لمواجهة أسئلة أقرانهم في المدارس عن الدين المرتبط دوماً بأخبار العنف والموت. واجهوا جواب والدهم بسؤال آخر أكثر إحراجاً: من إذن يُمثّل الإسلام؟ نظر الأب حوله باحثاً عن إجابة وعجز. لملَم حزنه وخيبة أمله وخرج من منزله هرباً من أسئلة أطفاله التي تتكرر

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

على مسامعه كلما حملت نشرات الأخبار تفاصيل عملية إرهابية جديدة. وهكذا، لا تزال أجيال جديدة من المسلمين في الغرب وفي الشرق تتساءل، ومعها الحق، عن الثقافة التي تنجب كل يوم مبررات جديدة للعنف والقتل والكره. يحاول بعضنا أن يعزل أعمال العنف عن الدين الحنيف بينما يرفع فاعلوها في العراق شعارات الإسلام ويكبّرون وهم يذبحون الأبرياء من نيبال وتركيا والهند وأماكن أخرى كما تُذبح النعاج. يحتجز ويقتل مئات الأطفال في مدرسة بأوستيا، فيحتفل المئات من المسلمين، في مواقع الفتنة العنكبوتية، مدوين «الله أكبر» احتفاء بالنصر العظيم!!

كلما سمعت بخبر جديد فيه قصة مأساوية وأبطالها من المسلمين، لا أملك إلا أن أتذكّر وجه ذلك الأب المسكين في واشنطن. كيف له أن يجيب عن أسئلة أبنائه؟ كيف له أن يُبرر أو يبحث عن أي تبرير لفعل شنيع فيه قطع رؤوس واختطاف طائرة واحتجاز أطفال؟ كم مثله من آلاف الآباء والأمهات في أمريكا وأوروبا وشرق آسيا يواجهون كل يوم أسئلة مماثلة من أولادهم وبناتهم الذين يواجهون -هم أيضاً- أسئلة مماثلة من زملائهم في المدارس والجامعات؟ كيف يمكن أن نقنع هذه الأجيال الجديدة من المسلمين أن دين آبائهم دين محبة وعقل وسلام وأخبار الأعمال البربرية التي أبطالها مسلمون تتصدّر كل الأخبار؟ إننا حقاً نواجه أزمة أخلاقية بصمتنا عن إدانة مثل ما يقترفه «المجاهدون» في

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

العراق وموسكو ودارفور وأماكن أخرى. أي أخبار تأتي من العالم الإسلامي غير أخبار الذبح والعنف وفتاوى التكفير؟ هل قرأت حديثاً عن إنجاز علمي جديد في أي بلد إسلامي؟ هل سمعتَ عن خبر مُفرح فيه خدمة للإنسان أو إسهام للحضارة الإنسانية مصدره دولة إسلامية؟

لماذا نتعاطف مع أي أقلية مسلمة تسعى إلى الانفصال وكأننا أمة لا تعرف أن تتعايش مع غيرها من الأمم؟ ولماذا تأخذنا العزة بالإثم فننساق وراء أي فئة تطالب بالانفصال لمجرد أنها أقلية مسلمة من غير تحكيم للعقل أو المنطق، ومن غير رؤية عاقلة وشاملة لمصالح الأمة وخدمة قضاياها؟ لماذا نهب ونقف وقفة رجل واحد إذا ألمحت أقلية غير مسلمة في بلد مسلم عن رغبتها في الاستقلال فنكيل لها تهم «التآمر» و«العمالة» ومحاولة تمزيق «الأمة»، وننكر عليها حتى حق السؤال عن حقوقها ووجودها؟

أعود إلى السؤال المُر: إذا كان أبطال العنف والإرهاب المسلمون لا يمثلون الإسلام الحقيقي فمن يمثل الإسلام إذن؟ الحقيقة المؤلمة هي أن ما يحدث الآن من أعمال عنف وهمجية مخجلة ليس سوى حصاد طبيعي لعقود طويلة من تضليل الأجيال المسلمة وشحنها بكل خطابات العداء والكره ضد الذات والآخر ما يزيد من حدّة التخلف والجهل في العالم الإسلامي. ليس

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

هناك أمة على وجه الأرض لم تواجه الظلم والحرب، لكن تلك الأمم عرفت كيف تُدافِع عن حقوقها حينما وظّفت العقل لخدمة قضاياها، واستثمرت العلم لمواجهة تخلّفها، فيما تواصل أصوات الجهل في عالمنا الإسلامي خططها في استثمار الجهل والتخلف من أجل مزيد من التخلف ومزيد من التشويه والتضليل. ولهذا فلن يكن مستغرباً ظهور أصوات جديدة من الجاليات المسلمة، في الغرب، تحارب في العلن كل ما يمت إلى الإسلام وثقافته ليس هرباً من تهم الإرهاب ولكن أيضاً للتعبير عن خجلها من الانتماء لثقافة لا تنتج سوى أخبار الشر والعنف والقتل. ولعل ظهور السيدة أعيان حيرسي علي، الناشطة الصومالية في هولندا، يُعد بداية لظهور أصوات أخرى في الغرب من أصول مسلمة تشعر بأن عليها أن تمارس نقداً حاداً ضد الإسلام والمسلمين هرباً من الشعور بالخجل تجاه أفعال المسلمين، أو عن قناعة بأن هناك إشكالية كبيرة في الثقافة الإسلامية تواجهها الأجيال المسلمة الجديدة في الغرب.

في نهاية المطاف، أظن أن أي عاقل في عالمنا الإسلامي اليوم لا يملك إلا موافقة الزميل عبدالرحمن الراشد في مقالته الجريئة في الشرق الأوسط يوم السبت (2004/9/4) التي أكد فيها أننا «لن نستطيع تنظيف سمعتنا إلا بعد أن نعترف بالحقيقة الواضحة الفاضحة التي تقول إن معظم الأعمال الإرهابية اليوم

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

في العالم نُفّذت بيد مسلمين. وعلينا أن نُدرك أننا لن نستطيع إصلاح حال شبابنا الذين ينفذون هذه الجرائم الشنيعة إلا عقب معالجة عقول شيوخنا الذين تحولوا على المنابر إلى ثوريين يرسلون أولاد الناس إلى الحروب، ويبعثون أولادهم إلى المدارس الأوروبية والأمريكية».

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

سنة ثالثة!

2004/09/13

يكرر المشهد العربي نفسه عند كل أزمة. الإخفاق في التفكير المستقل والعادل يحيل كل قضية -في الخطاب العربي- إلى علاقة غير متكافئة بين غرب مجرم ظالم وعربي مضطهد تقمّص دوماً دور الضحية. ماذا تعلّمنا من السنة الماضية؟ ومن السنة التي قبلها؟ ومن الثلاث السنوات الماضية؟ أين كنّا وأين وصلنا؟ مكانك سر؟ أو إلى الخلف عد؟

«الظاهرة الصوتية» التي وصفها الراحل عبدالله القصيمي تظل سِمة مُلازِمة لنا مع وبعد كل أزمة. قليل منا اعترف أو يعترف بأن الأزمة الأولى التي نعانيها هي أزمة ثقافة. أزمة إنسانية أيضاً. الذين يرفضون أسلوب العمليات الانتحارية ضد المدنيين -مثلاً- يرفضونها بحجة «سياسية» لأنها لا تخدم القضية الفلسطينية. لكنهم لا ينكرونها من منطلقات إنسانية. والذين برروا عمليات العنف ضد «الآخر» استخدموا ألاعيب اللغة، وهم بأشكال مختلفة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يبحثون عن مسوغات جديدة لتبرير أعمال العنف ضد «الداخل». وحينما يضطرون إلى شجب كارثة 11 أيلول/سبتمبر فإنهم يعيدون الأسطوانة القديمة نفسها التي تُعيد سبب كل مشكلة في العالم إلى سياسات أمريكا الخارجية.

من السهل أن تُعيد أسباب كل مشاكلك إلى أمريكا. توقفت سيارتك في نصف الطريق لأي سبب، اقفز والعن أمريكا. هرب ابنك من المدرسة لأنك لم تزرع فيه روح الالتزام، إلجأ إلى أمريكا وألق عليها اللوم. تزاحمت هموم الوطن، تراكمت ديونه، استشرى فساده، تفاقمت أزماته، لا عليك: أنت لست مسؤولاً: أمريكا هي السبب! يا إلهي لك المنّة: لقد منحتنا أمريكا كي نُعلّق عليها كل إخفاقاتنا.

يوم 2004/9/11، عادت صور الموت والدمار الإنساني تقتحم كل شاشات التلفزيون في العالم. الصورة المكررة لسقوط برجي مركز التجارة تكرر معها صورة أخرى هي سقوط الوجه الإنساني للمسلمين والعرب في كل زاوية من زوايا هذا الكون. والعرب الذين يشعرون بلذة خفية لانتصار خفي ينظرون إلى الصورة من زاوية ضيّقة فيها فرح أقرب إلى الوهم بـ«انتقام» أحمق يُهيّئ لمزيد من الهزائم العربية. غير أن الهزيمة الكبرى هي في غياب البعد الإنساني عن رؤيتنا للحدث. وأحد شواهد هذا

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الموقف هو تلك المقارنة المألوفة بين ما تفعله «القاعدة» وما تفعله أمريكا، مقارنة انفعالية طائشة لا تستطيع أن تحلل بعمق الموقف السياسي للفعل أو رد الفعل الأمريكي.

إنني هنا لا أحاول أن أصور أمريكا بالضحية «البريء» والعرب بـ«المجرم الأحمق». إنها فقط دعوة إلى التأمل بغياب الموقف الأخلاقي العربي مما يحدث في العالم. في أمريكا أصوات عاقلة كثيرة تنتقد سياسات أمريكا في العلن، وتُنظّم المظاهرات الكبيرة ضد سياسات الإدارة الأمريكية الراهنة. وتصدر دور النشر الأمريكية عشرات الكتب المناهضة للسياسة الأمريكية، فيما نصطف في العالم العربي كأننا شعراء لقبائلنا، نتنافس بشتيمة الآخر ولعن أمريكا وتمجيد ذاتنا وتكرار أسطوانة «المؤامرة» في أغلب أحاديثنا عن كارثة الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر.

قبل أن ننتقد أمريكا وسياساتها في المنطقة، وهو نقد في بعض أوجهه حق، لا بد من نقد ظروف الداخل العربي وإشكالات الثقافة العربية، ومن غير المعقول أن تمر ثلاث سنوات على كارثة غيّرت وجه التاريخ من دون أن نفيق ونواجه أنفسنا بحقائق التخلّف التي تنجب ثقافة عنف وردود فعل غاضبة وتغيّب العقل في مواقفنا من أنفسنا ومن الآخر.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

مرت ثلاث سنوات على الكارثة وهانحن «مكانك سر»، نواصل «الكلام» غير المفيد من دون فعل جاد. إن أثيرت الحاجة الحقيقية لصياغة خطاب جديد أو لتحديث في المناهج أو لرؤية واقعية وعاقلة لما يقف خلف أزمة العقل، دارت الأسطوانة من جديد لتكرر: «لا لتغيير المناهج خضوعاً لرغبة أمريكا»، و«الإصلاح ينبع من الداخل»، و«إنه وقت الالتفاف حول القيادات»، ولم ينبع إصلاح في العالم العربي من الداخل ولم نلمس أي نيّة جادة للتحديث، ولا يحزنون.

لكن الأشد وطأة من كل هذا هو الموقف العام من أي محاولة جادة للتجديد أو التغيير، إذ تُواجهك عاصفة «شعبية» من الرفض إن أوحيت بقبولك لأي فكرة تجديدية أو إصلاحية مصدرها آتٍ من الغرب (والغرب، بالمناسبة، عند العرب مأكول مذموم منذ أمد بعيد!!). كأن حالة البلادة العربية الراهنة هي الشاهد الأكبر على وطأة التخلّف الذي يصيبنا جميعاً بالوهن، ويحيلنا إلى كتل بشرية لا تفكّر جدياً وترفض أن تقرأ تجارب الآخرين وتنكر الاعتراف بأي مرض. نريد أن نبقى هكذا وفقط. وكأن حقائق العالم من حولنا لا تحثنا على التأمل الفاعل بواقعنا وبعمق الفجوة بيننا وبين حقائق العولمة المتسارعة، ولا تدفعنا إلى استشعار حجم الكارثة إن استمرت عزلتنا عن حقائق التغيير في العالم من حولنا، ما

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

سيُهيّئ لكوارث ألعن إن لم نحث الخطى ونبدأ أوّلاً بالاعتراف بمرارة الواقع وإشكالية التخلف المتسلط.

إن الذكرى الثالثة لكارثة الحادي عشر من سبتمبر ليست فقط مناسبة للكلام عن حدث هزّ العالم وغيّر صورته. إنها -أو يجب أن تكون-أيضاً مناسبة مهمة لنا في العالم العربي لأن نعيد قراءة ظروفنا وحقائقنا، قراءة جادة فيها صدق مع النفس ومواجهة شجاعة لحقائق التخلف في التفكير العربي وغياب الموقف الإنساني الأخلاقي تجاه قضايانا وقضايا الآخرين بعيداً عن لغة التعالي، وبعيداً أيضاً عن خطاب القفز على الحقائق. إنها بشكل آخر دعوة إلى أن نتوقّف عن كوننا «ظاهرة صوتية» ولو موقتاً!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ماذا نريد؟

2004/10/11

كان من الصعب أن أتجاهل سؤالاً كبيراً وصلني عبر بريدي الإلكتروني من قارئ اختفى خلف سياج الاسم الوهمي. عادة لا أبدي أي اهتمام بالرسائل التي يتبرقع أصحابُها بألقاب فضفاضة، تمارس شجاعتها وهي تختفي خلف جدار منيع يخفي الوجوه من دون أن يعزل الصراخ والضجيج. لكنني -هنا- أمام سؤال استثنائي: ماذا تريدون لمجتمعنا؟ كأن السؤال يُحاكم بعض كتّابنا ممن يتجرّأ ويُدخِل يده في عُش الدبابير ليسأل أسئلة ملحّة، أسئلة نتداولها في السر... نُخفيها عن الشمس في مشروع نفاق ضخم، وكأننا نتحايل على أنفسنا خوفاً من أي مواجهة مع الذات. أيها السائل: لماذا لم تكتب اسمك الحقيقي؟... ما الذي يخيفك؟ لماذا تخشى أن تسأل في العلن؟

«ماذا تريدون لمجتمعنا؟»... إنه سؤال يتكرر عليّ بأكثر من وجه وفي أكثر من مناسبة، سؤال مغلّف بنظرات من الشك

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

والحيرة والخوف أحياناً. سؤال أقرأه عن قرب في عيون بعض المعارف، وأحياناً بصوت بعض الأصدقاء ممن يخيفهم النبش في المناطق المحرّمة. إنه -في الوقت نفسه- سؤال يعكس قلقاً خاصاً تجاه أي فكرة جديدة يمكن أن تقود إلى شكل جديد أو تفكير مختلف. إنها ردة فعل قوية -وربما طبيعية في مثل هذه المرحلة- تجاه الأسئلة التي تحرّك الساكن، ويمكن أن تقود إلى حالة جديدة فيها حركة... فيها فعل.

«ماذا تريدون لمجتمعنا؟»... إنه سؤال يستفزني لأنه يأتي بلغة فيها شك في النوايا وريبة في المقاصد. أو كأن من يحاول أن يكتب عن قضايا المجتمع -بلغة جديدة ورؤية واقعية- خارج عن كل النصوص. أو كأنه هابط من كوكب آخر أو لا ينتمي لمجتمعه الذي يقلقه ثباته وجمود كثير من حركته.

أن تكتب عن هموم مجتمعك، عن تجربتك الخاصة في قراءة ظروف مجتمعك، يعني أن تمارس أبسط حقوقك في الانتماء وأقل مسؤولياتك تجاه أناسك، أهلك وقومك.

لماذا تخيف بعضنا الأسئلة الجريئة؟ أو قل: لماذا يخشى بعضنا من أي تغيير؟... ألهذا يكرر كثير منا الدعاء الشهير: «يا رب: لا تغير علينا؟».

لماذا لا ندعو: يا رب: خذ بأيدينا إلى مستقبل أفضل... إلى غدٍ أكثر أمناً؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أن نكتب عن قضايا المرأة في مجتمعنا فإنما نكتب عن قضايا الأم والأخت والابنة والزوجة. إننا بالفعل نكتب عن أنفسنا. وحينما ننادي بعودة عاقلة إلى خطاب عقلاني واقعي في تعاملنا مع قضايا المجتمع فإنما نمارس دوراً ملحاً لفهم حقائق الواقع وظروف المجتمع المتجددة والمتغيرة. إننا -ببساطة- نحاول أن نوقف عملية الهروب من مواجهة الحقائق، نحاول أن نرفع الرؤوس إلى فوق كي ترى الواقع الحقيقي للمجتمع بعيداً عن الأحلام والأوهام التي عشنا تحت هيمنتها طويلاً.

ماذا نريد لمجتمعنا؟

أكتب عن نفسي فأكرر الإلحاح بأن مسؤوليتي -ككاتب ينتمي لمسؤوليته- أن أذكر مجتمعي أن أمس قد ولّى، وأن اليوم حقيقة مختلفة، وغداً تحدٍ جديد وحقيقي.

عشنا في «الأمس» طويلاً وتركنا تحديات الغد، وهي تحديات حقيقية ومخيفة، إلى الظروف والقدر وكأننا على ثقة أن الأمور ستسير دوماً بالبركة!

ماذا نريد لمجتمعنا؟

سؤال كبير... لكنه حق مشروع لكل من ينتمي إلى مجتمعه... سؤال لا بد من إثارته في العلن.. في عز النهار... وليس خلف سياج الأسماء الوهمية أو في الأقبية المظلمة والزوايا القصية.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

العرب والإصلاح: وعود الداخل... وضغوط الخارج

2005/01/09

عاش المواطن العربي، طويلاً، أسيراً لوعود القيادات السياسية في محيطه، وعود تتلاعب بعواطفه الجيّاشة نحو التغيير وتداعب طموحاته وحماسته وانكساراته. ألم نُردد طويلاً أسطوانة «التحرر» من الاستعمار وتبعاته قبل أن ندخل في دوامة وعود تحرير فلسطين وكافة الأراضي العربية المحتلة، مؤجلين كل شيء حتى تتحقق الوعود التي لم تتحقق، مغلقين كل الأبواب أمام أي بادرة صادقة للحوار الجاد بشؤون المجتمع وقضاياه. مع الوقت، تتسع جغرافية خساراتنا ويزداد الوهن، على كل الأصعدة، ونحن بانتظار المستحيل حتى دخلنا الآن في حلقة جديدة من «وعود» الإصلاح الطويلة. قبل أن تبدأ أي خطوة جادة في طريق الإصلاح، بدأت ماكينة الدعاية العربية تعمل من جديد ضد أي فكرة جديدة وجادة لإصلاح أوضاع العالم العربي المتدهورة على أكثر من

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

صعيد. قيل بصوت عالٍ: لا للإصلاح المفروض من الخارج. وقيل: الإصلاح يبدأ من الداخل. وقيل إن المجتمع العربي يحتاج إلى وقت أطول كي يتهيأ لأي من مشاريع الإصلاح الموعودة. ثم تطور خطابنا السياسي، بشأن الإصلاح، حتى أذهل دُعاة الإصلاح في الغرب، وأوقعهم في حرج من أمرهم. كيف لا وكثير من القيادات في العالم العربي تزايد الآن على الغرب في الدعوة إلى الإصلاح، وتحذّر من خطورة تأخير خطوات الإصلاح السياسي في العالم العربي، وتؤكد أن الإصلاح يجب أن يتجاوز مرحلة الكلام إلى مواقع الفعل؟ أليس من المفترض أن تكون نصيحة كهذه موجّهة في الأصل إلى السياسي نفسه؟ من المعني أوّلاً بقرار الإصلاح ومن يملك آلية تحقيق بعض شروطه؟ كيف يجرؤ السياسي (في عالمنا العربي) على توجيه اللوم، بشأن الإصلاح السياسي تحديداً، إلى المواطن العربي المغيّب تماماً عن أي مشاركة حقيقية وفاعلة؟

وفي زحمة البحث عن أعذار تؤجل البدء عملياً في أي خطوة جادة للإصلاح تشتت الجهود في لعبة مكررة للتهرب من طرح الأسئلة الحقيقية حول مشاريع التغيير المرجو عربياً.

في حديث الإصلاح الطويل في العالم العربي، لم نتفق بعد على تعريف الإصلاح، ولم نسأل بعد السؤال المهم: أي إصلاح نريد؟ أهو إصلاح يسهم في فتح منافذ جديدة أمام المجتمع للشروع

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

في مشاريع تطويرية جديدة في شؤون السياسة والاقتصاد؟ أهو إصلاح جديد يمكن أن يفتح عيون الناس على حقائق التغيير في العالم المحيط بهم؟ أهو إصلاح يمكّن المجتمع من الخروج من سجن الأمس إلى حقائق الراهن الصعب بكل تحدياته وإمكاناته؟ أهو إصلاح يسهم في صياغة خطاب جديد فيه جرأة على الاعتراف بأخطاء الذات وثقة بنقد أوضاع الداخل وأسباب أزماته من غير خجل أو وجل؟ ألم نملّ بعد من وعود الإصلاح الطويلة التي لم يترجم أقلها إلى عمل؟ أم هو مشروع «إصلاح بالقطارة» وكأنه «عمل خيري» يتفضل به أهل السياسة على مجتمعاتهم المغيّبة طويلاً عن مساهمة واعية وفاعلة؟

تظل ثمة أسئلة أخرى مهمة: كيف يمكن إقناع القيادات السياسية في عالمنا بأن الدعوة إلى خطوات إصلاحية جادة ليست دعوة إلى الانتقاص من مكانتها، أو دعوة إلى زعزعة استقرارها ووجودها؟ على العكس من ذلك الوهم تأتي دعوات الإصلاح الجادة بقناعة مفادها أن قوة المجتمع هي -في الواقع- قوة لنظامه السياسي وحصانة ضد تهديده أو محاولات النيل منه.

إن الإصلاح الحقيقي الذي ينتظره العالم العربي يجب أن يتجاوز الخوف من فكرة «الأمركة» كون الإدارة الأمريكية ومؤسسات أمريكية أخرى تدعو إليه حتى لا يظل هذا الموقف

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أداةً جديدةً لتعطيل مشاريع الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي في العالم العربي. لندع أمريكا جانباً ولنتعامل بواقعية ومسؤولية مع حاجة «الداخل العربي» لمشاريع إصلاحية عاجلة على أكثر من صعيد من أجل المواطن العربي وقياداته أولاً وليس -فقط- استجابة لأي ضغط خارجي أو محاولة يائسة لذر الرماد في عيون المنظمات الدولية التي تنادي بإصلاحات جريئة في العالم العربي.

إذا كانت أمريكا يمكن أن تجني مصلحة واحدة من الإصلاح في العالم العربي فإن المواطن العربي (وقياداته) سوف يجني ألف مصلحة من أي خطوة جادة للإصلاح في محيطه. إن التحدي الحقيقي الذي يواجهه دعاة الإصلاح في البلاد العربية الآن هو إقناع القيادات والناس في العالم العربي بأن الدعوة إلى الإصلاح ليست «عمالة» أمريكية، وليست دعوة إلى إضعاف مكانة القيادات السياسية العربية بقدر ما هي حاجة ملحّة وآمنة للبقاء... بقاء الجميع... وتلك حقيقة مهمة يبدو -للأسف- أنها لا تزال غائبة!

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

دول الخليج:
كيف تواجه الفوضى القادمة؟

2007/06/20

قد لا تملك -وأنت تشاهد هذه الفوضى المجنونة تعصف بالعالم العربي- إلا أن تضع يدك على قلبك، داعياً الله أن يحمي الناجي من دول المنطقة من شرور ما يخبئه المستقبل. ليس من «نظرية المؤامرة» أن ندرك أنّ ما يحدث في منطقتنا الآن ليس سوى وجه من أوجه الصراع الخفي والعلني بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية. لكنه محزن جداً وخطر حقيقي أن يستخدم العرب (كما استخدموا من قبل) كأدوات -وضحايا- لهذا الصراع. أنظر إلى تزامن الأحداث وعُلاقاتها بالتهديدات الأمريكية ضد إيران لتدرك كيف يتاجر بعض بني جلدتنا بقضايا قومية كنا نظن، مخطئين، أنها تشكل خطاً أحمر، ولا يمكن المتاجرة بها، أو مقايضتها بأي مكسب، ناهيك عن بعض المكاسب التافهة والآنية. في صراعها مع الولايات المتحدة، تبدو إيران مصممة على فتح

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أكثر من جبهة ضد أمريكا، مستخدمة العالم العربي والعرب عموماً أرضاً وضحايا لمعركتها السياسية والعسكرية. النيران الملتهبة في العراق ولبنان وغزة قد تطال دولاً عربية أخرى ليس فقط كأوراق ضغط إيرانية، ولكن أيضاً عن قناعة لدى القيادة في إيران وأتباعها العرب مؤدّاها أن الشر يجب أن يعم! كم هو مخجل أن ترى أرضك ساحة لمعارك الآخرين وأهلك سلعة يبيع بها ويشتري المتخاصمون!

غير أن الخوض الآن في «تفاصيل» الذي حدث، والدخول في لعبة العتب والتهم المتبادلة ودهاليز السؤال: «من يتحمّل اللوم؟»، لا تؤدي، في واقع الأمر، إلا إلى إلهائنا عما يجب فعله الآن وكيف نحترس من الانسياق إلى الفوضى غير الخلاقة التي تكاد اليوم أن تعصف بكل المنطقة. ولهذا يأتي السؤال الذي يعنينا الآن: كيف يمكن لدول الخليج العربية -والناجي حتى اللحظة من الدول العربية الأخرى- أن تتجنب الكوارث التي تحيط بها اليوم من كل اتجاه؟

ليس «اصطياداً بالمياه العكرة» أن نذكر القيادات في دول الخليج العربية أن قوة الداخل هي واحدة من أهم -إن لم تكن هي الأهم- آليات مواجهة الخطر الخارجي الذي يداهم دول المنطقة من أكثر من اتجاه. هناك قوى في الخارج تريد إقحام

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الجميع بهذه الفوضى العارمة عبر اللعب على تناقضات الداخل الخليجي واستخدام تلك التناقضات كأوراق هادمة في صراعاتها الإقليمية والدولية. وجود مشاعر «الغبن السياسي» في أي مجتمع يفتح الباب غالباً أمام الفتنة. احتكار العمل الاقتصادي والمشاركة السياسية ليس سوى «وصفة دمار» لأي مجتمع أو أي نظام سياسي، طال الزمن أو قصر. تعامل الأنظمة السياسية مع شعوبها وفقاً لعقلية «المنتصر» و«المنهزم» يُهيّئ لمزيد من الكوارث عند أقرب فرصة. مواجهة مطالب الإصلاح الصادقة والجادة بعقلية «متغطرسة» ستزيد من اتساع الفجوة بين الحاكم والأصوات الإصلاحية المخلصة. إقصاء الأصوات الناقدة في المجتمع يقود إلى هيمنة خطاب النفاق الممجوج الذي هيمن على المنطقة طويلاً ولم يقد إلا إلى إلهاء القيادات في الخليج عن القضايا الجديرة بالمواجهة والمكاشفة. التأخير في تنفيذ وعود الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي سيزيد من تعقيد أزمات المجتمع ويشغله عن مواجهة التحديات والمخاطر الحقيقية وهي الآن عند أبوابنا!

ألم تستوعب الأنظمة السياسية في الخليج ما برهنت عليه الأزمات المتلاحقة التي عاشتها المنطقة منذ غزو الكويت وحتى اليوم من أن صديقك -فعلاً- هو من صدَقَك لا من صدّقك في الحق والباطل؟ حينما تناشد أصوات الإصلاح والتغيير البناء

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

قيادات بلدانها في الخليج أن تترجم وعود الإصلاح عبر مشاريع تنموية على الأرض فإنها لا تسعى -ولم تفعل من قبل- إلى قلب الأنظمة، ولا تطمح إلى أن تصبح «زعامات» في بلادها. إنها -ومن مبدأ التزامها بمسؤوليتها- لا بد من أن تحث القيادات السياسية على مواكبة تطلّعات شعوبها في تحقيق تنمية عادلة ومتساوية وبشفافية تسد الطريق أمام محاولات العبث أو الفساد، وهي بذلك تصد الأبواب بوجه عواصف الدمار والخراب التي يراد لها أن تشمل الكل.

أعرف أنه صار مملاً أن نكرر أن القوة بمواجهة أخطار الخارج لن تتحقق قبل أن تتحقق المصداقية والقوة في التعامل مع مشاكل الداخل. وأدرك أنه صار تكراراً أن نذكر بأن الانتصار في معركة الخارج لن يأتي إلا بالإنتصار أوّلاً في معركة الداخل، بمواجهة تحديات البطالة وسوء التعليم وتدهور أوضاع الصحة وتحقيق تكافؤ الفرص بين المواطنين.

لقد صمدت دول الخليج العربية بوجه الكثير من القلاقل السياسية الإقليمية ليس فقط لأن مصالح دول كبرى منحت تلك الدول حصانة خاصة، ولكن -وهذا الأهم- لأن قيادات الخليج تعاملت بحكمة مع الظروف الصعبة من حولها، وأدركت كيف توظّف حاجة العالم إلى الطاقة لمكاسب أمنية وسياسية أدّت إلى حرص

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

دولي خاص على استقرار سياسي قوي في الخليج. لكن المراهنة على حاجة العالم إلى هذا الاستقرار وحدها ليست كافية (إن لم تكن مخاطرة كبرى)، خصوصاً أن الحروب المجنونة من حولنا اليوم تثبت من جديد أن القوة الحقيقية هي في وحدة المجتمع وتكاتفه ورضاه تجاه واقعه وتفاؤله بمستقبله.

هاهي طبول حرب كبرى تدق من جديد، على مرمى حجر منا، وهاهي حروب أخرى، أصغر، تشتعل من حولنا وقودها الجهل والطمع وقلة البصيرة وليس أمامنا -في دول الخليج- عذر ألا نقرأ تفاصيلها المحزنة وندرس -بصدق- أسبابها وجذورها، والحكيم، هكذا تعلمنا دروس الماضي، من اتعظ بمصائب غيره.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

بشرى لمواطني مجلس التعاون: لا ختم بعد اليوم!

2007/07/25

ما إن حطت بنا الطائرة في مطار الملك فهد الدولي بالدمام، الأسبوع الماضي، حتى أطلقت ابتسامة عريضة، على غير عادتي ، فرحاً ومستبشراً بما ظننته أهم صور التعاون حتى اليوم بين دول مجلس التعاون الخليجي: لا حاجة إلى جواز السفر عند التنقل بين المملكة ودولة الإمارات العربية المتحدة. كدت أزاحم المسافرين، عند الخروج من الطائرة، من شدة حماستي لخوض التجربة الأولى بعد تفعيل القرار التاريخي باستخدام البطاقات الشخصية عند التنقل بين الإمارات والسعودية. وحينما وصلت إلى كاونتر الجوازات، قلتها بصوت عال: «أنا قادم من دبي»، ثم أخرجت بطاقة الأحوال المدنية، ممنياً نفسي بأن يطيل الله في عمري عشرين سنة قادمة عسى أن أعيش تجربة سفر مماثلة بين بلادي السعودية ودولة خليجية أخرى من دون جواز

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

سفر. كان عسكري الجوازات يسألني: هل لديك بطاقة الأحوال الجديدة؟ قلت: لا. وأضفت: كل المعلومات المطلوبة موجودة هنا في بطاقة الأحوال: اسمي ومكان ميلادي ومصدر البطاقة وتاريخ صلاحيتها. لكنه، بلطف، شرح لي أن نظام العبور من دون جواز السفر يتطلب إصدار النسخة الجديدة من بطاقة الأحوال، ثم طلب جواز سفري. شكرت الله أنني حملت جواز سفري معي فقد كدت أسافر من دونه تعبيراً عن تقديري لهذه الخطوة الرائدة من التعاون بين دولتين مهمتين من دول مجلس التعاون. لم لا ونحن، في دول المجلس، ننتظر بشغف أي بادرة حقيقية للتعاون الإيجابي تطال إنسان المنطقة بالدرجة الأولى؟ تخيلت مصيبتي لو أنني سافرت من دون جواز السفر - الذي لا أحتاج عادة إلى إبرازه لموظف الجوازات في دبي والفضل يعود إلى من قرر وضع المنافذ الإلكترونية في مطار دبي: كيف يمكن إقناع موظفي الجوازات في الدمام أنني ظننت أن بطاقة الأحوال تغني الآن عن جواز السفر عند التنقل بين الإمارات والسعودية؟ ربك ستر! غير أن ما أثلج صدري وعوّضني عن خسارة السفر من غير جواز سفر هو أن موظف الجوازات لم يختم على جواز سفري. معقولة؟ نعم: معقولة ونصف. قال لي موظف الجوازات إنه يسجل المعلومات في الجهاز فقط. سألت: هل كنت ستعمل الشيء نفسه لو كان عندي النسخة الجديدة من بطاقة الأحوال؟ أجاب بنعم. سألت

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

مرة أخرى: يعني ببطاقة أحوال جديدة أو من دونها، سأتوقف عند موظف الجوازات عند قدومي من الإمارات أو سفري لها؟ أجاب: نعم. إذاً ما الفرق بين هذا الإجراء قبل الإعلان عن هذا المشروع وبعده؟ قال: الختم. وعندها تنفّست الصعداء وأدركت سر القرار ومنفعته العظيمة: توفير الأختام! فأنت ببطاقة أحوال جديدة أو من دونها ستضطر إلى التوقف أمام موظف الجوازات لتسجيل بياناتك على الجهاز قبل أن تغادر صالة الوصول لكنك، والحمد الله، ستوفر مساحة صغيرة في إحدى صفحات جواز سفرك كانت ستشغل بالختم. وهكذا، وبعد سنوات طويلة من الحديث الكبير عن التعاون وضرورة كسر الحواجز بين دول مجلس التعاون، تثمر الجهود الجبارة بتوفير مساحة مهمة من جوازات مواطني الإمارات والسعودية كانت تملأ بالأختام، وفي هذه الخطوة الرائدة منافع كثيرة، أقلّها تخفيف الضغط على عضلات شباب الجوازات في البلدين وتوفير جهد رفع الختم إلى فوق قبل النزول به، كالمطرقة، على جواز السفر المقدس. هكذا يكون التعاون بين دول التعاون وإلا فلا، خصوصاً بعد عقود من الوعود الكبيرة والكلام الكثير عن أهمية التعاون والانفتاح على بعض. إن هذه الخطوة المهمة تعكس، من ضمن ما تعكسه، وعي أصحاب القرار في دول المجلس الموقر بأهمية العمل المشترك، خصوصاً أن المخاطر تحيط بالمنطقة من كل اتجاه، فهل يُعقل أن ننشغل بختم جوازات أبناء البلدين في

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ظل التهديدات النووية والحروب الطائفية والتهديدات الخارجية التي تحيط بنا من كل صوب؟

في مطار دبي، وأنا عائد بعد التجربة المثيرة في الدمام، ذهبت، مثل المئات من القادمين، إلى بوابات البطاقة الإلكترونية حيث لا تحتاج إلى أن تتحدث مع أحد، ولا تحتاج إلى ختم جواز سفرك، تمر بهدوء ومن دون قرارات عُليا من مجلس التعاون أو غيره. وسألت: إن عزَّ على مواطني دول مجلس التعاون المرور بمطارات بلدانهم من دون المرور على موظفي الجوازات، ألا يمكن الاقتداء بدبي وإنشاء بوابات إلكترونية توفر على المسافر وقت الانتظار عند الجوازات، وتريح أذنه من أصوات أختام الجوازات وأسئلة موظفيها المزعجة أحياناً؟

آمل ألا أكون بمثل هذا الاقتراح قد أسأت لهيبة الدولة، أي دولة في مجلس التعاون الموقر، ومكانتها أو أمنها فأنا ، وأبصم على ذلك بالعشرة، لست سوى مواطن عربي أحد أحلامه أن يرى أمته تتجاوز البيروقراطية التي قيّد بها العربي عقله وحياته وتنطلق إلى آفاق أرحب من التعاون والتلاقي!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

هل نحن من هيّأهم لهذا الموت العَبَثي؟

2007/08/15

من انكوى بنيران الفقد ليس كمن يُنّظر عن الفقد من بعد. كم من أبٍ في مجتمعنا يعيش حالة قلق قصوى خوفاً على أبنائه من الانحراف، إما إلى طريق المخدرات التي غزتنا مثلما غزتنا آفات أخرى كثيرة، أو الانسياق إلى دروب تيه أخرى تحت شعارات نبيلة يتاجر بها تجار القضايا السياسية، أو ضمن سياقات «اللعبة» التي يستخدم فيها شبابنا وقوداً في حروب الآخرين وصراعاتهم. محزن جداً أن بيننا -بحسن أو سوء نية- من يمارس عمليات «غسيل مخ» منتظمة يُهيئ بها شبابنا للانتحار المجاني في قضايا قد تكون ضد مصالحنا، أو عكس الأهداف التي يريد بعض شبابنا الموت من أجلها (ناهيك عن خلق ثقافة تؤسس لمناخ الهروب السهل من مواجهة تحديات الحياة ومتاعبها). لكن المؤسف جداً أننا حتى اليوم لم نفتح الملفات كاملة لمحاسبة أنفسنا والمسؤولين

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

عن الزج بآلاف من شبابنا إلى ساحات الانتحار المجاني، بدءاً من أفغانستان، وليس انتهاءً بنهر البارد (مخيم للاجئين الفلسطينيين في شمال لبنان، تحصّن فيه مجموعة من الإسلاميين المسلحين باسم فتح الإسلام، ودخلت بمعركة مع الجيش اللبناني استمرت حوالى أربعة أشهر) . لقد خضعنا لإرهاب يمارس ضد أي محاولة صادقة لكشف المستور عن أبعاد خطيرة لغسيل مخ جماعي يمارس في عز الظهر، بحق مجتمعنا وهانحن ندفع أثماناً باهظة لصمتنا وجهلنا وخوفنا. فهل تستطيع اليوم أن تطالب بتعريف حقيقي لمعنى «الجهاد» الذي يساق آلاف من شبابنا تحت غطائه إلى ساحات المعارك الخاسرة في نهر البارد وأفغانستان والبصرة؟ هل تستطيع أن تطالب بمشروع وطني جاد لتوعية المجتمع بخطورة أن يُهيأ شبابنا كأدوات سهلة طيّعة تستخدم حطباً في ألاعيب استخباراتية معقدة، وفي صراعات سياسية موقتة ليس لها أي علاقة بتلك القيم الخلاقة التي يظن شبابنا أنهم يستشهدون فداءً لها؟ من يجرؤ على السؤال؟ وأنت إن فعلت قوبلت بكل أشكال التهم في عقيدتك وانتمائك ونواياك، أتحدى أن تتحدث، في أي مجلس من مجالسنا، عن خطورة العشوائية في خطاب الجهاد من دون أن تتهم بمحاربة القيم الدينية أو بـ «العمالة» للغرب. ألم يحذر البعض عندنا، ربما من منطلقات بريئة وصادقة، من «خطورة» ثني

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الشباب عن الجهاد، متسائلين: من سيحمي الحرمين إن تعرّضا لغزو صليبي؟

أشك أحياناً في أن قوى استخباراتية، في أكثر من دولة، تقف وراء عمليات تجنيد «الجهاديين» من أوساط شبابنا لإدراكها بأن البُنية الثقافية السائدة لا توفّر الوقاية اللازمة أمام العقلية الانتحارية الجاهزة للموت في أي مكان بمجرد إضفاء صبغة «الجهاد» على القضية أو الموقف. من هنا تأتي المطالبة بفتح كل ملفات التجنيد في معارك الآخرين حقاً وطنياً مشروعاً لعله يكشف لنا ولمجتمعنا أن كثيرين منا وقعوا ضحية لحسن نواياهم وتعلقهم الصادق بالدفاع عن قضايا الأمة وحقوقها. ومن مسؤولية العلماء الأفاضل في العالم الإسلامي الحذر من أولئك المتلحّفين بغطاء ديني من أجل تأجيج الشباب، بكل عشوائية، ضد «الآخر»، واستغلال حماسة الناس للدفاع عن قضايا إسلامية كبرى، بينما هم في الواقع يُستخدمون حطباً سريع الاشتعال في معارك الآخرين وخلافاتهم.

قبل أيام، جاءني اتصال هاتفي مفاجئ تعكس كل نبرة فيه قلقاً وخوفاً شديدين لأب مُشتّت بين خوفه على أولاده من الضياع وبحثه عن نوافذ أمل تأخذ بأيدهم إلى طريق النجاة. لم يعد هذا الأب، وأمثاله في مجتمعنا كثيرون، يطمح إلى أن يرى أولاده

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

طيارين أو أطباء أو مهندسين أو رجال أعمال، لقد صار همه الكبير كيف ينجو أبناؤه من شر الفتن المحيطة بهم من كل صوب. خوفه موزّع بين ضياع أبنائه في عالمين من الشر: إمّا المخدرات، أو ساحات الموت العبثي في نهر البارد أو العراق. كأن أعداء الحياة قد أجمعوا على أن يجدوا ضالّتهم في المجتمع الخليجي. لم لا وكثير منا يُصر على أن ندفن رؤوسنا في الرمل، وإن اضطررنا إلى التعامل مع بعض أزماتنا أشرنا بسبابة اللوم للبعيد ثم عدنا إلى الدعاء: «يا رب: لا تغيّر علينا»!

إنني هنا لا أحاول ابتكار معنى جديد لـ «الجهاد» لكن المسؤولية تفرض علينا جميعاً التحذير من استغلال مفهوم الجهاد لتجنيد شبابنا كأدوات تُستغل في معارك خاسرة، خصوصاً أن التجارب المريرة لكثير من العائلات في المنطقة كشفت أن كثيراً من أبنائها تورط باسم الجهاد في أعمال أودت بحياة الآلاف من الأبرياء في ساحات القتل الجماعي العبثي. إن الأحداث التي مرّت بها منطقتنا في السنوات القليلة الماضية وما تعيشه المنطقة اليوم يجب أن تدفعنا إلى إدراك حقيقة مؤلمة تؤكد أن العشرات -إن لم يكن المئات- من صغار الشباب لدينا باتوا حطباً محتملاً لتجار الحروب والسياسة في عالم من الفوضى المخيفة التي تهدف إلى أكل الأخضر واليابس وما تبقى من عقل في منطقتنا التي خيّم عليها سوء الطالع كثيراً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

في «شرعية» الدولة: الخروج من مأزق الأيديولوجيا!

2007/09/05

أحد الدروس المُستقاة من تسيّد «حزب العدالة والتنمية» للمشهد السياسي التركي الراهن يمكن أن يكون التالي: لم تعد «شرعية» النظام السياسي هي «الأيديولوجيا» التي تتبنّاها عادة الدولة، وتعتقد الحكومة أنها «الحارس الأمين» لها و«القيّم» المسؤول على استمرارها والدفاع عنها. الشرعية الحقيقية لأي دولة، لأي حكومة، لأي نظام سياسي، هي في برامج التنمية والتعامل المسؤول والواعي مع قضايا المواطن وهمومه ومصالحه. «الشرعية» الحقيقية هي في ما يقدّمه النظام السياسي من خدمات وبرامج اقتصادية وتعليمية لا في «النظرية» التي تتبنّاها الدولة، ثم تورّط نفسها بها، وكأن بقاء الدولة رهنٌ ببقاء تلك النظرية التي قد يتجاوزها الزمن، أو قد تصبح عائقاً تنموياً أو سداً منيعاً بوجه أي محاولة جادة للحاق بالعالم المنطلق، بسرعة، نحو المستقبل.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

من المبالغة القول إن «الإسلاميين» في تركيا قد انتصروا في المعركة السياسية التي شهدتها تركيا على مر السنوات القليلة الماضية لأن المنتصر الحقيقي هنا هو «البرنامج» الاقتصادي الشامل الذي تبنّاه ونفّذه باقتدار «حزب العدالة والتنمية». صحيح أن الحزب، في أساسه، يعتمد على مجموعة من القيم المهمة التي ضمنت له هذا النجاح بعد تطبيقها على الأرض، مثل قيم العدالة والنزاهة والإصلاح والشفافية. الحقيقة أن ما يهم الناخب التركي في آخر النهار هو البرنامج الاقتصادي وليس الشعارات. الأجندة التي طرحها الحزب، والعقلية التي تدير الحزب، تعكس «واقعية» و«عملية» في الرؤية والأداء. ولهذا فإن قيادات «حزب العدالة والتنمية»، بعد انتصاراتها السياسية، لم تتعامل مع المواطن التركي بعقلية المنتصر والمهزوم لأنها أقرت بأن الانتصار الحقيقي هو انتصار للديمقراطية التركية التي ضمنت لها هذا الفوز المبهر وحزبها -في الواقع- جدير به. ما فائدة رفع شعار التنمية والعدالة إن كان التطبيق على الأرض لا يحقق لا عدالة ولا تنمية؟ ألم يُقهر المواطن العربي طويلاً، في أكثر من مكان، تحت شعارات «الوحدة» و«تحرير الأرض» و«مواجهة العدو»؟

إن «الأيديولوجيا» التي تتبنّاها بعض الأنظمة السياسية وتفرضها، عنوة، على قطاعات واسعة من مواطنيها قد تكون هي سبباً رئيساً في مشكلات تلك الأنظمة إن لم تتسبب فعلياً بزوالها.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لقد رأينا أمثلة كثيرة في عالمنا العربي تبرهن أن السياسي «المؤدلج» حد المرض يقود نظامه السياسي، وحتماً بلاده، إلى الكوارث بدلاً من ممارسة «اللعبة السياسية» بما يخدم أوّلاً تنمية بلاده تنمية حقيقية تُسهم في قوّته أمام تحديات الخارج مهما كبرت. وأولئك الذين يخدعون النظام السياسي بمقولة إنهم -بالأيديولوجيا التي يتبنّونها ويورّطون المؤسسة السياسية بها- هم من يُعطي الدولة تلك «الشرعية» التي تضمن بقاءها، لا يخدعون فقط المؤسسة السياسية، ولا يخدمون فقط مصالح خاصة آنية باسم المحافظة على «شرعية» الدولة، ولكنهم أيضاً سيسهمون عملياً، آجلاً أم عاجلاً، في إسقاط الخيمة على رؤوس الجميع!

لنخرج الآن من ورطة الأيديولوجيا -أيّاً كانت- ولنتحرر من لعنة الشعارات الزائفة ونباشر عملياً ببرامج تنموية حقيقية تُعنى ببناء الإنسان أوّلاً، وتُسهم في بناء بلداننا بناءً صحيحاً على أصعدة الصحة والتعليم ومستوى المعيشة وإشراك المواطن بالعملية التنموية عملياً وليس شكلياً أو لمجرد ذر الرماد في عيون المراقب الأجنبي! وحينما نفعل هذا فإننا هنا، نؤكد «شرعية» الدولة، ونقوّي من مكانة النظام السياسي، ونعزز فعلياً وحدة أوطاننا ومجتمعاتنا.

تأمل كيف يعزف كثيرون في الدول التي تمارس ديمقراطية حقيقية عن السياسة وألاعيبها وإغراءاتها. السبب هو أن التنمية

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الحقيقية في تلك البلدان خلقت للناس بدائل كثيرة للعمل والتغيير والفعل. لم تعد السياسة وحدها هي البوابة للتميز والبروز أو للفعل والعطاء. وأن تبني شارعاً نظيفاً أفضل، مليون مرة، من أن تتشبث بـ«أيديولوجيا» قد تكون في أصلها أساساً للفرقة داخل المجتمع الواحد. انظر حولك لترى أن أكثر الأنظمة السياسية استقراراً وثقة في «شرعية» وجودها هي تلك التي تقدّم تنمية بلدانها على شعارات الأيديولوجيا، وهي تلك التي تُعنى كثيراً بتنمية الإنسان وتتعامل مع همومه ببرامج حقيقية تُسهم فعلاً بصناعة الحلول وتغيير الأحوال إلى ما هو أفضل. من هنا تأتي الدعوة إلى قراءة تجربة «حزب العدالة والتنمية» التركي أولوية لأولئك الذين جرجرونا بشعارات «الأيديولوجيا» -شرقية كانت أم غربية، دينية أم مدنية- من هزيمة إلى هزيمة، ومن نكبة إلى نكبة، ومن كارثة إلى كارثة. ومع كامل التقدير لقناعات الناس وتوجّهاتها الفكرية، الكل يجب أن يدرك بأنه مطالب بالعمل الجاد لتنفيذ بنود «برامج» تنموية حقيقية تؤسس لها الدولة ومن ثم تقرّها وتكون «حارسها الأمين»، وهي بهذا تؤصل لمفهوم حقيقي لـ «شرعية» الدولة، وبالتالي لاستمرارها قوية وصامدة حتى بوجه أعتى الرياح وأعنفها. فهل نطمح، في العالم العربي، في برامج تنموية حقيقية تعنى بالإنسان أولاً وقبل أي شيء؟ وهل تستوعب الأنظمة السياسية في عالمنا العربي أن «شرعية» وجودها الحقيقية هي في احترامها

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لتعطش الإنسان العربي للعيش بأمن وكرامة، وفي عملها الدؤوب للتعامل الصادق مع هموم مواطنيها على أصعدة التنمية عموماً؟ وهل نُدرك أن تنفيذ بنود الخطط التنموية، بجدية، وبعيداً عن البيروقراطية المقيتة وبأسلوب قوامه النزاهة والشفافية، سيعزز من وحدة مجتمعاتنا ويحمي «شرعية» الدولة؟ ومرة أخيرة: هل نقرأ التجربة السياسية (والتنموية) التركية الراهنة لعلنا نتعلّم ما قد يُسهم بخراجنا من مأزق «الأيديولوجيا» التي قد تكون طريقنا نحو الهاوية؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

هل لنا أن نفرح بأعيادنا؟

2007/09/12

هل كتب علينا أن نكتئب دائماً حتى في أعيادنا؟ من حرّم الفرحة علينا؟ ومن أين أتت ثقافة «التجهُّم» التي شكّلت وجوهنا وسيطرت على سلوكنا حتى في الأعياد ومناسبات الفرح؟ كثيراً ما أسأل نفسي هذه الأسئلة، خصوصاً في الأعياد والمناسبات المهمة، وأنا أشهد، في السنوات القليلة الماضية، جواً من الكآبة يهبط على وجوه الناس وسلوكهم في الأعياد التي يفترض أنها تمنح الناس، في مجتمعنا، فرصة ثمينة للفرح، ولو قصيرة، في ظل الأخبار البائسة من حولنا، وفي ظل الأرق اليومي، والركض الدائم الذي فرضته علينا دوّامة الحياة المعاصرة. أم هل لا بد من «الهروب» إلى خارج بلادنا، حتى في أعيادنا، كي نستطيع أن نفرح أو نحتفل بمناسبة الفرح في بلداننا؟ انظر كيف ينتشر الخليجيون، أفراداً وعائلات، في أصقاع الدنيا كلما سنحت لهم فرصة حتى خلال الأعياد والعطل القصيرة كي تدرك أن ثمة، فعلاً، رغبة في الهرب

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

إلى البعيد، كلما أمكن، بحثاً عن بيئة أخرى نعبّر فيها عن أفراحنا وبهجتنا بالمناسبات التي تستحق الفرح. حفلات الزواجات، في الغالب، صارت مثل أعيادنا أو مناسبات العزاء، لا فرق، مناسبات رسمية كئيبة و«ثقيلة دم». لماذا؟ أم أن «المزاج العام» لدينا صار كئيباً أو خالياً من جينات الفرح والاحتفال؟

لو كنت في موقع صناعة القرار لاقترحت على البلديات والمؤسسات التي تُعنى بتشجيع السياحة أن تستثمر مناسبات الأعياد الدينية والوطنية والإجازات في الإعداد لبرامج ترفيهية شاملة تضفي جواً من البهجة والفرح على الجميع. تخيّل أن تمتلئ الساحات العامة في مدننا وبلداتنا في أيام العيد بالفرق الفنية الشعبية لتقديم العروضات والأهازيج الشعبية والعودة بالناس، والمزاج العام، إلى الأيام القديمة يوم كان الناس، على الرغم من الفقر وقلة الإمكانات، تحتفل حقاً بأعيادها وبمناسباتها الوطنية. لماذا تسمع كثيراً ذكريات الطفولة وأفراح العيد قديماً تردد علينا في الأعياد وكأن الفرح مرَّ علينا سريعاً ولم يَعُد؟ أو كأن العيد كان هنا قليلاً ثم ذهب إلى غير رجعة؟

سيأتيك من يتساءل عن كيف نفرح بالأعياد وأخبار الحزن والحروب والفتن تحيط بنا من كل اتجاه. وكثيراً ما أسأل نفسي: ما الذي يمكن أن نغيّره بمزيد من الحزن والألم تجاه ما يحدث؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

إن الفرح والاحتفال بمناسبات مهمة في حياة الناس ينبغي ألا تكون حالة مشروطة بانفراج أزمات الأمة الكثيرة، التي ظلت حية بيننا منذ مئات السنين. إن الدعوة إلى الفرح البريء في مناسبات يفترض أن تجلب شيئاً من روح التفاؤل للناس، بخاصة للناشئة من أبناء مجتمعنا، هي في الواقع دعوة إلى فتح أبواب جديدة للتفاؤل بالحياة والخروج من قفص الكآبة العام الذي يهيمن على «مزاجنا العام» حتى في أعيادنا.

حينما تسافر خارج العالم العربي حاول أن تذهب إلى الساحات العامة والأسواق والحدائق العامة وستجد العشرات من «أنشطة الفرح» تحيط بك: عروض فلكلورية، فرق موسيقية شبابية، عازفو بيانو أو غيتار، استعراضات سيرك وأنشطة أخرى. لماذا تغيب هذه الفاعليات عن مدننا؟

في أثناء الدراسة في مدينة بوسطن الأمريكية، كنت أهرب من الملل -الذي يصيبني أحياناً بعد ساعات طويلة من العزلة في المكتبة- بالذهاب قليلاً إلى «هارفارد سكوير» ليتغيّر المزاج، خلال دقائق قصيرة، فأعود إلى المكتبة أكثر حماسة للمذاكرة أو الكتابة. فكل ما يحيط بك في تلك المنطقة يحفّز على الفرح والتفاؤل، أنشطة بريئة ومجّانية ترسم الابتسامة على وجوه الناس وتحفّزهم على التفاؤل وتعيدهم إلى مزاج العمل والتفكير

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الإيجابي. انظر إلى المناخ العام حول جامعاتنا ومدارسنا كم هو كئيب وباهت. ولهذا أكرر السؤال دائماً: ما الذي يعيق إعداد أنشطة عامة، وفتح الأبواب أمام الهواة، من أجل رسم لوحات فرح، وإبداعات فنية، في الأماكن العامة، في الحدائق العامة، وساحات الجامعات، والأسواق؟ هذه الأنشطة قد تُسهم بـ «رفع الحظر» عن ممارسة الفرح العلني المفروض على «مزاجنا العام» منذ عقود!

إن الإصرار على الفرح هو إصرار على الحياة وعلى مواجهة أولئك الذين يسعون إلى استغلال هذا «المزاج العام» الحزين لشحن مشاعر الكره والبغض والفتن في مجتمعاتنا التي يُحاصرها الحزن من كل زاوية. فهل نستثمر فرصة قدوم رمضان لتدشين مرحلة جديدة من الفرح والتفاؤل؟ وهل نأمل في أن تأتي خطبة العيد القادم بمضامين جديدة تدعو إلى الفرح و التفاؤل بالمستقبل والحياة؟ وهل نتفاءل بأن تشهد مدننا وقرانا بعض ملامح الفرح البريء بمناسبة فرح مهمة اسمها «عيد الفطر»؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الخطاب الديني: المأزق والمخرج!

2007/10/10

كأننا أخيراً بدأنا نُدرك بعض أخطائنا ونعترف بها. للتوّ بدأنا -في ما يبدو- نعترف بخطورة الزج بشبابنا وقوداً في صراعات السياسة وأدوات رخيصة في معارك خاسرة، أو لتصفية حسابات سياسية قديمة أو جديدة. في هذا الزخم من الضجيج القاتل، أخيراً بدأ صوت العقل، على استحياء، يبحث عن مكانة تليق به وبالحاجة الآنية إلى سماعه.

ما زلتُ مصرّاً على أن بإمكان الخطاب الديني المستنير أن يُحدث أثراً إيجابياً كبيراً في رؤية شبابنا للواقع والمستقبل. لا يمكن أن تنسف قناعات الناس -التي هي نتاج طبيعي لعقود طويلة من التهييج والترويع والتضليل- أو تغيير المواقف بين عشية وضحاها أو بخطبة أو فتوى مختلفة. ولا يمكن الآن تجاوز الخطاب الديني بمواجهة أزمات المجتمعات العربية وإشكالاتها.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

فما تم زرعه على مدى عقود يحتاج إلى جهد أكبر وربما زمن أطول لتصحيحه (أو استبداله)، بشرط أن نملك الجرأة والرؤية والنيّة الصادقة لإصلاح ما أفسدته أنظمتنا التعليمية وخطاباتنا الدينية والإعلامية لعقود.

لا بد من البدء بـ «مشروع» متكامل يخطط للمستقبل برؤية واعية لحقائق الراهن وإمكانات وتحديات المستقبل، مشروع يجب أن يقوم عليه المؤهلون من المنفتحين على العالم وأهل الرؤى التنويرية والواعية بما يحمله المستقبل من تحديات. البيانات الدينية التي صدرت مؤخراً تحذّر شبابنا من التورط بأعمال إرهابية داخل أو خارج حدودنا (باسم الجهاد)، تأتي بغاية الأهمية حتى وإن جاءت متأخرة. لكنها يجب أن تتواصل، وأن تأتي صادقة وواعية بمخاطر الزج بالشباب في ألاعيب السياسة ومتاهاتها باسم الدين والقضايا الوطنية. وتلك البيانات التي بدأت بالظهور تردد ما نبّه إليه كثرٌ منا منذ سنوات (وتحديداً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية)، وبسببها كُفّر بعضنا، أو أُلحِقَتْ بهم تُهم الخيانة والتبعية، وربما الإلحاد أو الضلال الفكري، وتلك ضريبة الجرأة الفكرية والمسؤولية المهنية والأخلاقية التي يُضحي من أجلها المثقف المسؤول، عكس الآخر الذي يجاري الريح والأمزجة.

علينا، مفكرين وناشطين وسياسيين وإعلاميين ممن ينشد الإصلاح لبلاده وأهله، أن نحتفي بأي بادرة إيجابية من قبل صنّاع

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الخطاب الديني الجديد ذي الرؤية الناقدة والإيجابية من أجل بناء نهضة حقيقية تمنح مجتمعاتنا فرصة جادة للبناء والإسهام في المنجز الحضاري العالمي. لماذا لا نقرأ جيداً تجارب الآخرين في الاعتراف المسؤول بالهزيمة والانطلاق منها إلى إسهام حضاري صناعي عالمي كبير؟ كيف كان لليابانيين الانتقام من هزائمهم لو لم يعترفوا أوّلاً بالهزيمة قبل الشروع بتحدٍ صناعي وثقافي كبير، قاد إلى تميّز صناعي وتقدير عالمي؟ أنا ممن يؤمن بأن العلم وحده هو المنقذ من كوارث متسارعة سيجلبها الإنسان لنفسه إن أغرق في الكذب على نفسه، أو أسرف في تمجيد «انتصارات» الماضي وإنجازاته. لكن العلم لا يتعارَض مع قيم الناس وعاداتها وتقاليدها أو عقائدها الدينية. من هنا تأتي أهمية أن نحث رموز الخطاب الديني الجديد على كسر تلك «القدسية» التي تشكل حواجز منيعة بين الإنسان والأسئلة الجريئة حول رؤيته لذاته ولمحيطه ولـ«الآخر» القريب أو البعيد.

لن ننطلق في أي مشروع حضاري قبل أن نحرر الإنسان أوّلاً من الرقابة -بكل أشكالها- التي تُحاصر عقله إن شرع بالسؤال الجريء والمباشر.

لكم يُحزنني أن أسمع قصصاً لعشرات من شبابنا قادتهم الغيرة على أمّتهم إلى أتون معارك سياسية، ليس لها علاقة بقضايا

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الأمة الحقيقية، ثم إلى الموت العبثي باسم الجهاد. أنظر كيف يتنافس الشباب في دول العالم الأوّل على الابتكارات في العلوم والطب والتكنولوجيا الحديثة، فيما العشرات من شبابنا يتنافسون على من يصل أوّلاً إلى ساحات الموت العبثي والمأساوي.

ماذا لو استثمرت طاقات شبابنا للمنافسة على الإبداع العلمي والفكري؟ وما ذا لو خصصنا جوائز مالية ومعنوية كبرى للمبدعين من شبابنا في كل الأصعدة؟ وماذا لو أنفقنا القدر نفسه من الملايين والجهود التي تُنفق على «مزايين الإبل» وأمثالها لإعداد مشاريع متواصلة لابتعاث المميزين من أبنائنا وبناتنا إلى الجامعات العالمية المميزة؟ كيف يمكن أن نؤسس لثقافة تبجّل المتفوق علمياً وتصنع «قدوة» في مجالات الطب والكمبيوتر والفن الراقي؟

أكاد أجزم أن الخطاب الديني المستنير لن يُسهم فقط بتغيير أولويات الشباب من الموت إلى الحياة، ولكنه يستطيع أيضاً أن يحث طاقات شبابنا نحو الإبداع والمنافسة الخلاقة. صحيح: الخطاب الديني، مهما كان تقدّمياً في رؤيته وإنسانياً في لغته، لن يحقق ما نطمح له هنا من دون خطط اقتصادية وتنموية شاملة تتبنّاها الحكومات، وتُشرع في تنفيذها مؤسسات مؤهلة بجدية وشفافية، لكن البدء في أي مشروع حضاري جاد لن يتحقق ما لم

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

نتخلّص من إرث الخطابات السابقة، بكل أنواعها، التي أسهمت بتشكيل ثقافة كاسحة لا تنجب سوى هذا التطرف، في اليمين أو في الشمال، ولا تنتج سوى هذه الثقافة المسيطرة من تسطيح القضايا والاهتمامات كما لو أننا أمة وضعت نفسها أمام خيارين فقط: الموت العبثي السريع باسم الجهاد، أو الموت العبثي البطيء أمام شاشات التلفزيون بانتظار لا شيء!

هل تتحد الجهود والأفكار، من كل الأطياف، لصياغة مشروع حضاري إنساني تنويري عاجل في العالم العربي؟

تلك أمنية العيد!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

مؤتمر هنا... مؤتمر هناك!

2007/11/07

في مؤتمراتنا العربية، بمختلف أشكالها، يبدو استخدام اللغة، وليست اللغة ذاتها، مشكلة. أتأمّل كثيراً الخطاب العربي الرسمي فأجده مغرقاً بـ «الرسمية»، طويلاً ومملاً في أغلب الأحيان: مقدّمات طويلة وإجابات تقود إلى مزيد من البحث عن إجابة، وفي الأخير «كلام على الورق» أو «كلام في الهواء»! وفي المؤتمرات الثقافية، بكل أطيافها، في العالم العربي تغلب اللغة الفضفاضة على اللغة المباشرة، وتتكرر الفكرة الواحدة من محاضرة إلى أخرى، ومن متحدث إلى آخر، فتجد نفسك وقد أضعت وقتك بسماع كلام مكرر وحكاية مُملّة. اللغة، كما أفهمها، هي انعكاس للواقع بحِراكه الثقافي والسياسي. في المجتمعات المتحررة من عقدة الرقابة، الرقابة بكل أشكالها، تأتي اللغة أكثر مباشرة وبساطة فلا تضيع في محاولة فك لغز الإجابة، ولا تضطر إلى قراءة ما بين السطور. في الأيام الماضية، دعيت إلى

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أكثر من مناسبة عربية، وكنت أتساءل مع الأصدقاء الذين ألتقي بهم في تلك الفاعليات: هل ثمة جديد هنا؟ وتكون الإجابة، في الغالب، بالنفي فتكون النتيجة في آخر النهار: كلام بلا معنى: (Empty Rhetoric). يبدأ المتحدث العربي -بخاصة في المؤتمرات الثقافية- باعتذارات أو تفسيرات تُلقي باللوم على «عنوان الجلسة» أو «ضيق الوقت» أو «لم يخبرني المنظمون إلا متأخراً». ثم تتناول «المقدمة» الشكر الجزيل على «حسن التنظيم»، وعلى فكرة المؤتمر «التي تأتي في وقتها». لكنك في الأخير لا تخرج بما يفيد.

المثقف العربي كثيراً ما يُطالب القيادات السياسية في العالم العربي بالإصلاح وتعجيل مسارات التطوير، مطالبة مشروعة وواجب أخلاقي يأتي ضمن مسؤوليات المثقف، لكنه لا ينتبه إلى أهمية أن يبدأ الوسط الثقافي نفسه بإعادة النظر في خطاباته وواقعه. ولهذا فإن «المشكلة السياسية»، أو «المشكلة الثقافية»، تأتي جزءاً من كل، في عُلاقة متداخلة ليس من السهل أن نفصل بينها. صحيح أن القرار السياسي هو الأقوى في إحداث التغيير، خصوصاً في البلدان التي يُسيطر فيها السياسي على أغلب قنوات التغيير والتأثير، لكن «المثقف» العربي اليوم مسؤولاً عن أن ينشد الإصلاح أوّلاً لخطابه ووسطه. كثيراً ما تتكرر الوجوه والأسماء في أغلب المناسبات الثقافية. وبتكرار الوجوه والأسماء تتكرر الأفكار

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

والآراء نفسها، فتنتقل من مناسبة إلى مناسبة، ومن عاصمة إلى عاصمة، فتكون واحدة من نتائج هذه الحالة أن ترى الغالبية العُظمى من حضور أي مناسبة ثقافية تحتسي القهوة خارج قاعة المحاضرة، وتتبادل آخر النُكات السياسية! أم إن الفكرة الأساسية من مثل هذه الفاعليات هي أن يجتمع الزملاء المثقفون باستمرار لشرب القهوة و«طق الحنك»؟

في أحد المؤتمرات الأخيرة، جلست إلى جوار صديق يسخر من كل شيء حتى من نفسه. وفيما كان مدير الجلسة يقدم أحد المتحدثين «الكبار»، والكبير هو الله، كما يقول أهل قريتي، همس صديقي في أذني قائلاً: «ستسمع عن ضرورة الحفاظ على الهوية العربية وأهمية مواجهة الخطر المحدق بالأمة وكم لعنة على العولمة وأهمية تكرار مثل هذه المناسبة». وصدق صديقي.

بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001، كنتُ في زيارة قصيرة لواشنطن، ورأيت بالصدفة زميلاً عربياً عاش في واشنطن عشر سنوات، متنقلاً من وظيفة بسيطة في سفارة عربية إلى وظيفة بسيطة أخرى في سفارة عربية أخرى. سألته عن أحواله فرد مستبشراً: لقد تغيّرت الأحوال، ثم أراني ورقتين في يده قائلاً: أحاضر الآن عن تاريخ «الأصولية» الدينية في العالم العربي!

كيف أصبح صاحبنا محاضراً في أمريكا؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

في عز حماسة مؤسسات أمريكية كثيرة لمعرفة المزيد عن العالم العربي مباشرة بعد أحداث سبتمبر الكارثية، وفي بحثها الدؤوب حينها عن أصوات عربية تشرح ظروف العالم العربي وقضاياه، فتح الله على قلب وعقل صاحبنا المقيم في واشنطن، فوجد نفسه فجأة «خبيراً» بشؤون «الأصولية»، وأصبح يحمل تلك الورقتين معه متنقلاً من مناسبة إلى أخرى، ومردداً الكلام نفسه، مع إضافة بسيطة هنا ومقدمة أخرى هناك وهكذا. تلك «الفهلوية» التي أجادها ذلك المهاجر العربي الغلبان وجدت بيئة ملائمة وقتها في غياب القدرات العربية الحقيقية والمؤهلة للخوض بقضايا معقدة وذات عمق تاريخي طويل.

المؤسف أن تلك «الفهلوية» تبدو حاضرة بقوة في كثير من الفاعليات في العالم العربي حتى انزوى بسببها المثقف الجاد والباحث الرصين، وبقيت «الأضواء» وتوابعها لفهلوية المؤتمرات ومرتادي المناسبات الإعلامية والثقافية. فهل ينتبه منظمو مثل هذه الفاعليات، ممن يقصدون فعلاً تهيئة بيئة مناسبة لحوار مثر وفاعليات ناجحة، لضرورة إعادة التفكير بطرق وأساليب تنظيم هذه الأنشطة؟ وهل نبحث فعلاً عن المثقف الرصين والمستقل والجاد ليكون صوتاً مؤثراً في فاعلياتنا ومؤتمراتنا؟ وهل يفيد أن نصرخ في أذن الوسط الثقافي العربي: انظروا إلى حالكم؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

نمر بن عدوان:
فرسان على أطراف المدينة!

2007/11/21

كان نمر بن عدوان فارساً نبيلاً، مثله مثل مئات الفرسان الذين أنجبتهم القبائل العربية في وقته. لكن حبه ووفاءه لزوجته الجميلة (أم عقاب) صار أسطورة. ذكرى الفارس النبيل لا بد من أنها صدمت البعض منا، ففي زمن يخجل الرجل العربي -في أكثر من موقع على الخريطة العربية- من النطق باسم أمه أو زوجته أمام أقرانه أو معارفه تأتي قصة ابن عدوان رسالة نبيلة بأن الفارس العربي كان أيضاً عاشقاً يفاخر بحبه لحبيبته، وينظم أجمل قصائد العشق في زوجته الجميلة (وضحى)، وكأن من شروط الفروسية أن تحب في العلن وتفاخر أمام الناس بالحب. فإذا كان أجدادنا يحبون في العلن ويفاخرون ويتفاخرون بأمهاتهم وزوجاتهم وأخواتهم وبناتهم فأين (الرجل) العربي اليوم من أجداده وقصص فروسيتهم وقصائد عشقهم؟ «يا عين أبوي»،

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ترددها وضحى كلما سمعت صوت نمر، أو لاح وجهه أمامها، أو في خيالها في قصة حب وحكاية صدق تشبه الإسطورة اليوم لندرتها!

لكن هناك وجهاً آخر للقصة: ففي الوقت الذي كانت قصص وقصائد نمر بن عدوان تسافر من قبيلة إلى قبيلة في شمال الجزيرة العربية وبادية الشام، وفي الوقت الذي كان فارسنا النبيل وكثير من قبائل العرب منغمسين في حروبهم وحكايات الحب وقصائد الشوق وغزو القبائل المجاورة، كان العالم المتقدّم ينطلق في ابتكارات واكتشافات علمية على وشك أن تغير من تاريخ البشرية كلها. وكان العالم المتقدّم وقتها أيضاً يبيع ويشتري في منطقتنا وفرساننا وقتها منغمسون في «الثأر المحلي»، وكأن عالمهم يصر على عدم الخروج من القبيلة وقضاياها وثقافتها وحكاياتها وقصائد فرسانها. كأن العالم عند العربي -أحياناً- لا يُمكن أن يتعدّى حدود القبيلة أو القرية أو العشيرة القريبة. صورة العربي عند جماعته، أهله وبني جلدته، هي ثروته ورأسماله. ولهذا تكون خصومة الأهل قاسية وعنيفة ومدمرة. انظر كيف يحارب العربي رفيقه العربي. في حروب العرب الداخلية، قبائل أو أحزاب، تظهر الشراسة (وليست الفروسية) في أقبح صورها: سلب وسرقة أو قتل بالسيف والخنجر، أو بالرمي من أعلى السطوح والسحل في الشوارع. لكن أين شجاعة العربي وفروسيته حينما يقاتل عدواً غير عربي؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يكون الغرباء، في أحياناً كثيرة، أكثر حظوة وأجلّ قدراً عند العرب. في حكايات القبائل العربية، تسمع كثيراً عن لاجئ أجبرته الظروف على الهجرة من دياره، أو من قبيلته، فيحل ضيفاً مقدّراً عند قبيلة أخرى تستقبله بما تمليه أعراف الضيافة وتقاليدها، ثم مع الوقت تمنحه القبيلة المضيفة تقديراً خاصاً لأنه «ضيف» وافد، والأهم أنه يبدو «مُحايداً»، كما تفرض ظروف «الإقامة» عليه أن يكون. ولأن الضيف الجديد يريد أن يكسب ثقة مضيفيه فإنه يستثمر أي فرصة مواتية لمشاركة القبيلة بشؤونها والوقوف معها في أي أزمة بالرأي السديد أو بالمشاركة الفعلية في رد الغزاة وخوض الحروب. مع الوقت يبرز دور الضيف القيادي وتزداد الحاجة إليه ويقوي من موقعه الجديد أنه لم يرث أي عداوة مع أحد من أبناء القبيلة المضيفة حتى تحين الفرصة فيُنصب (ربما من دون سابق ترصد) لموقع قيادي يقود في النهاية إلى مشيخة القبيلة. كم من شيخ قبيلة عربية وفد إلى قبيلته الجديدة من قبيلة أخرى بعيدة؟ وكم من فارس لفظته قبيلته ليصبح فارساً مبجلاً خارج قبيلته؟

لكن السؤال المهم الآن هو: من هو الفارس في زماننا هذا؟ لم تعد فروسية نمر بن عدوان هي الفروسية الملائمة لعصرنا لأن المعايير تغيّرت وأدوات البقاء اختلفت. فمثلما احتمى ابن عدوان بالشجاعة والسيف لحماية قبيلته، ففارسنا اليوم لا بد

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

من أن يحتمي بالشجاعة والعلم والانفتاح على العالم كي يحمي نفسه وقبيلته من الموت أو التلاشي. ولكن -وما أقسى السؤال- أليس صحيحاً أن فرسان العرب اليوم تلفظهم قبائلهم، تغلق الأبواب بوجوههم، تسخر منهم وتخشى فكرهم؟ أليس صحيحاً أن فرسان العرب اليوم يهربون، بالعشرات، من أوطانهم فتستقبلهم، بالترحاب والتقدير، جامعات ومراكز بحوث علمية وشركات عملاقة في الغرب؟

الفارس العربي اليوم يصعب عليه البقاء بين بني جلدته في العالم العربي لأن العرب، في ما يبدو، ما زالوا قبائل تفتك بفرسانها!

معايير القوة (والفروسية) قد تبدّلت تماماً اليوم. الإنسان العربي اليوم مطالب أكثر من أي وقت مضى بأن يُدرك الحقيقة الصارخة: عالمه اليوم لم يعد قبيلته وقبائل الجوار فقط. لا بد من أن يُدرك العربي أن معركته الحقيقية اليوم لم تعد مع ابن عمه أو القبائل المجاورة لأن العالم الكبير اليوم صار، غصباً عن الجميع، عالم الجميع. والمعركة الحقيقية هي في القدرة على الخروج من أسر الماضي والتعامل الخلاق مع الحداثة والعالم الجديد بلغته وأدواته ومعطياته. والجوانب الإنسانية النبيلة والمضيئة التي تجسّدت في حكايات فرسان مثل نمر بن عدوان يمكن أن تكون

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

عوامل إلهام إضافية قد تمنحنا من قيم الشجاعة ونبل المواقف ما قد يحثنا على الإقدام بثقة نحو زمن مختلف وعالم جديد.

هل ندرك أن سجن العقول في الماضي ليس سوى موت جماعي وضد معايير الفروسية الجديدة؟ وهل نمنح فرساننا ثقتنا كي يفتحوا لنا الأبواب نحو المستقبل بوعي واقتدار؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

من ثقافة التمر
إلى ثقافة النفط!

2007/12/05

أنا لا تراودني «عقدة النفط»، فأنظر إلى هذه الثروة الوطنية العملاقة كما لو أنها «خطيئة» يجب التوبة عنها، أو «عيب» يستدعي الخجل والاعتذار وتحاشي نظرات الناس. والنفط ليس «لعنة» لكن التعاطي معه قد يكون لعنة، خصوصاً إن لم يَعرف أهله كيف يُستثمر في بناء الإنسان وبناء تنمية اجتماعية شاملة. وحينما نقلت عني النيويورك تايمز قبل سنة مقولة «لعنة النفط»، فقد كانت في سياق الحديث عن تراجع خطوات الإصلاح في العالم العربي، إذ قد يكون في تعاملنا مع النفط «لعنة» إن ركنا إلى أن السيولة الكبيرة في بلداننا -الناتجة من ارتفاع أسعار النفط خلال السنوات الثلاث الماضية- هي مفتاح الحل لأي مشكلة ونحن نُدرك جيداً أن تأجيل الحل ليس هو الحل، بل قد يقود إلى تفاقم الأزمة وتعقيد المشكلة. إذاً النفط، مثله مثل أي شأن، قد

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يكون نعمة أو لعنه وفقاً لكيفية التعامل معه. علينا في دول الخليج ألا نخجل من ثرواتنا الوطنية وعلى رأسها النفط، لكننا مطالبون بالتعامل العاقل مع ثرواتنا الوطنية وتوجيهها لمصلحة التنمية الشاملة على أصعدة بناء الإنسان بما تتطلّبه العملية التنموية من إنفاق على التعليم والصحة والفكر والفنون والبُنى التحتية. ستكون فعلاً «لعنة» إن واصلنا تعاملنا مع مشكلاتنا الاجتماعية والثقافية والسياسية بفكرة «شراء السكوت» عن هذه المشكلات التي قد تتطلب مواجهة شجاعة وآنية للبحث فيها و البحث عن حلول لها.

لا بد من التذكير أيضاً بأن قوة الدولة لا تقاس فقط بثرواتها ولكن -وهنا مربط الفرس- بكيفية التعامل مع ثرواتها الوطنية وبـ«رؤيتها» مستقبل تلك الثروة وآلية استثمارها.

وفي الحديث عن «ثقافة النفط» لا بد من السؤال: ماذا يعني النفط للمواطن في دولة نفطية؟

اعتمدت الأجيال التي سبقت عصر النفط في الخليج -من ضمن ما اعتمدت عليه اقتصادياً- على النخلة. لكن النخلة ومنتجاتها كانت جزءاً أصيلاً من وعي الناس ومعرفتها. فمثلما يعرف الفرنسي عشرات الأنواع من الأجبان، كان ابن الخليج يعرف عشرات الأنواع من التمور، ناهيك عن أهم أسواق الرطب وأكبر المزارع المنتجة وأكثر العوائل المتخصصة بزراعة النخل أو

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تجارة التمر. وبما أن أهم ثرواتنا الوطنية حالياً هي النفط، مثلما تتصدر بلداننا أكبر البلدان المنتجة للنفط حتى صارت منطقتنا أهم مناطق العالم في قضايا الطاقة وجب السؤال: ماذا نعرف عن النفط؟ وكم لدينا -من أبناء منطقتنا- من خبراء عالميين في النفط؟ وكم لدينا من مراكز دراسات وبحوث متخصصة في قضايا الطاقة والنفط؟

ليس غريباً أن يكون أحد الذين يجيدون الحديث في هذا الشأن هو الأستاذ عبدالله بن جمعة، رئيس شركة أرامكو السعودية النفطية العملاقة. إنه كثيراً ما يتحدث عن النفط بثقة العارف بتفاصيل قضايا النفط، وذلك أقل ما نتوقعه من رئيس واحدة من كبرى شركات النفط عالمياً. قلت له قبل يومين في البحرين إن مصداقية شركته في الأداء والإنجاز لأكثر من نصف قرن تضمن له تقديراً خاصاً كلما تحدث -بثقته المعروفة- عن النفط كثروة وطنية على من يمتلكها أن يحترمها ويفتخر بها. وفي كلمته ضمن فاعليات مؤتمر مؤسسة الفكر العربي السادس في المنامة بداية مؤخراً، استعار رئيس شركة أرامكو مقولة سابقة للدكتور محمد جابر الأنصاري: «لقد آن الأوان كي نضخ البترول في عروق الثقافة العربية». ولكي يتحقق ذلك لا بد من تثقيف الناس بالنفط وقضايا الطاقة. ويشير كثرٌ من المتخصصين بشؤون الطاقة إلى أن الحديث عن ظهور بدائل جديدة للنفط لا يعني إطلاقاً نضوباً

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

كاملاً للنفط. فحاجة العالم إلى النفط، كطاقة تقليدية، بخاصة في مجال النقل، قد تستمر لمئتي سنة قادمة، أي إن قضايا النفط ستستمر معنا طويلاً.

وبما أننا ندرك جيداً أن النفط لا يساوي شيئاً إن لم يجد من يشتريه ويستهلكه، فلا بد لنا من إدراك أننا إن لم نستثمر النفط، كثروة وطنية، في بناء مجتمعاتنا من خلال استثمار عائدات النفط الكبيرة جيداً في تأسيس «مؤسسات» حقيقية تُعنى بالتنمية الحقيقية لمجتمعاتنا سيكون النفط -حتى ولو بعد حين- مجرد قصة عابرة لأمة تجيد إضاعة الفرص، فرصة بعد أخرى.

من هنا تأتي أولوية أن نستثمر النفط بمواجهة تحديات العولمة. يؤكد عبدالله بن جمعة أنه من أجل مواجهة تحديات العولمة لا بد من ترسيخ ثلاثة مبادئ أساسية: التعليم المستمر، الجدارة (أخلاقيات العمل) ونشر القيم الإنسانية (التعددية والتعايش والتسامح والحوار ونبذ التطرف والإرهاب). ثم يختتم بالدعوة إلى التنافس مع بقية الشعوب الإنسانية لعمارة الأرض. كأنه يدعو إلى أن يتجاوز الطموح مجرد البحث عن فرص البقاء إلى إنتاج أدوات جديدة، عملية ومعاصرة، للتنافس مع بقية الشعوب من أجل البناء الإنساني. من هنا تأتي أهمية استثمار كل الإمكانات في المنطقة، وفي مقدمها النفط وعائداته، لبناء إنسان

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

المنطقة وتهيئته دائماً لمواجهة تحديات العولمة والاستثمار في إمكاناتها وفرصها.

إن إلقاء الضوء على تجارب بعض المؤسسات الرائدة في المنطقة في الإنجاز والانضباط والتميز، مثل تجربة «أرامكو»، ثم العمل على تعميم التجارب الناجحة ربما أسهم في خلق ثقافة جديدة لترسيخ قيم العمل والانضباط في بلداننا، وتلك خطوة يجب أن تكون ضمن استراتيجيات العرب لعصر العولمة، كما أشار رئيس شركة «أرامكو» في كلمته.

إن الدعوة إلى فهم ثقافة النفط والتعامل معها بانفتاح وجدارة هي في الواقع خطوة للانفتاح على إمكانات العالم وقضاياه بخاصة أن النفط اليوم ما زال يشكل المحور الرئيس للاقتصاد العالمي، ولهذا علينا أن نؤدي دوراً فاعلاً في هذا الاقتصاد، وأن نستثمره لبناء الإنسان العربي استثماراً جاداً يُسهم عملياً في ريادته وإنجازه بمواجهته لتحديات العولمة، والاستثمار الناجح في إمكاناتها. ولهذا أكرر هنا ما قلته لرئيس «أرامكو» من أننا بحاجة حقيقية إلى مزيد من حضوره وأمثاله للحديث عن إمكانات المستقبل وتحدياته برؤية تدعمها الخبرة والمعرفة والانفتاح الخلاق على العالم. ومثلما تحرص قيادات عربية ناجحة، في القطاعين العام والخاص، على الحضور المميز في

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

المحافل الدولية فإن الأمل كبير في أن تمنح تلك القيادات شيئاً من وقتها الثمين لشباب بلدانها في الجامعات والمعاهد العربية فما أحوجنا اليوم إلى نماذج نجاح محلية ربما ساهمت -ولو بالحديث عن تجاربها- في خلق مناخ جديد من التفاؤل لشبابنا. وتلك أمنية!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أسئلة النهضة

2007/12/12

نحن اليوم أمام أسئلة جديدة كثيرة لا مفرّ من مواجهتها! الثورة التقنية الحالية، بخاصة في حقل المعلومات، تفرض أسئلة مهمة على المعنيين بقضايا التنمية الإنسانية والنهضة عموماً. معايير الكفاءة المهنية والمعرفة تتغير بظهور تقنيات جديدة في حقول الاتصال والتعليم والاقتصاد. هذه المتغيرات المتلاحقة بشكل مذهل لا بد من أن تفرض أسئلة من مثل: من هو المثقف اليوم؟ ومن هو القادر على التصدي لقضايا التنمية والتخطيط للمستقبل برؤية أبعد مما يمكن رؤيته؟ وكيف ستكون معايير الكفاءة والتأهيل بعد عقدين أو ثلاثة من الآن؟ وهل الخوف من مواجهة أسئلة المستقبل هو من الأسباب القوية لتشبث كثرٌ من العرب والمسلمين بالماضي والتغني بأمجاد السلف على حساب تحديات الراهن والمستقبل؟

ليس من قبيل «جلد الذات»، أو «ترويج الإحباط»، أن نذكّر بحقائق اليوم على أصعدة واقع التعليم والتنمية في العالم العربي.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

وليس من قبيل تشويه الذات أن نعترف بأن العالم العربي، على كافة الصعد والتعليم بخاصة، يبقى في ذيل القائمة. والأكثر مرارة أن محاولات التغيير في شؤون الإصلاحات السياسية والاقتصادية (ناهيك عن بطء التعامل مع قضايا الشفافية وإيجاد مؤسسات حقيقية للمجتمع المدني) تكاد نادرة وإن وجدت فهي -في أكثرها- لمجرد «ذر الرماد» في عيون المؤسسات الدولية والناشدين لإصلاحات حقيقية في المنطقة.

لكن المشكلة التنموية في عالمنا العربي اليوم أكثر تعقيداً من مشكلة «بطء القرار السياسي» لتنفيذ برامج إصلاحية إن وُجدت. التحدي الكبير هنا هو في إعادة صياغة العقل للتعامل مع أسئلة النهضة وتحديات الغد القريب برؤية مختلفة، بنظرة تفهم سعة الفجوة بين إمكانات الراهن (بخاصة على صعيد التفكير)، وما تتطلبه التنمية الإنسانية القادمة من وعي وانفتاح وجدية وسرعة في التفكير والعمل. أضف إلى هذا المشهد الحزين الغياب الكبير لـ«البنية التحتية» للثقافة في ظل هيمنة «الخوف» على العقل والحركة. كيف يمكن تحرير العقل العربي من هيمنة الخوف المطبق عليه تجاه كل جديد ومن كل بادرة مختلفة؟ لقد تآمرت ظروف كثيرة (دينية وسياسية واجتماعية) على العقل العربي حتى صار أسيراً لخوفه من أي جديد، ومن أي تغيير، وأحياناً من معطيات الحضارة الإنسانية في مجالات العلوم والفنون وغيرها.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ومع قرون طويلة من حياة الخوف شاعت مقولات في خطابنا العام تحذّر من التغيير وتتشبث بالواقع مهما كان متخلفاً عما حققه الآخرون. خذ مثلاً تلك الدعوة التي يمسي ويصبح على وقعها الإنسان العربي في أكثر من مكان: «الله لا يغيّر علينا». لماذا الخوف من التغيير والحرص على بقاء الأمور على حالها؟ خذ أيضاً مقولة « والعياذ بالله من أنا» حينما يتحدث «الفرد» عن نفسه وكأنه عيب أن يكون «الفرد» مستقلاً ومختلفاً وخارجاً عن الصورة النمطية للتفكير الجمعي. كيف يمكن أن يبدع الفرد وهو مقموع تحت مظلة «الجماعة» وخارج عن صف الجماعة إن فكر خارج النص أو كتب خارج النص أو تكلم خارج النص؟

كيف إذن يمكن للإنسان العربي أن يواجه تحديات المستقبل وعقله يعيش تحت حصار الخوف من العيب ومن الفتوى ومن القمع السياسي والقمع الاجتماعي؟ من هنا لا بد من تحرير العقل العربي أوّلاً من عقد الخوف -والرقابة بكل أشكالها- كي يستطيع أن يدافع عن وجوده (قبل أن يبدأ بالمنافسة) في ظل الهجمة القادمة لقائمة طويلة من التحديات ستهطل عليه من كل اتجاه. وتلك مهمة أعرف عز المعرفة أنها كبيرة وطويلة وصعبة فما تأسس فكرياً على مدى قرون لا يمكن تجاوزه -أو إصلاحه- في سنوات قليلة. لكن البدء في «مشروع» فكري جاد يحرر الإنسان العربي من عقدة الخوف التي تشكل جيناته اليوم ضروري أن

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يكون مشروع حياة أو موت ومهمة لا خيار للتنويريين العرب إلا البدء بها والإلحاح عليها.

أشفق كثيراً على البعض بيننا ممن يتعامل مع فكرة العولمة كما لو كانت بضاعة في بقالة ينتقي منها ما يعجبه ويترك ما لا يعجبه. لم تعد المسألة «خياراً»، بل صارت «قدراً»، ليس ثمة بد من القبول به والتعامل معه على هذا الأساس. وحينما نفهم جيداً هذه الحقيقة ربما أمكننا أن نتعامل بثقة مع هذا «القدر»، بل وربما أمكننا أن نستثمره مستقبلاً لمصلحتنا ومصلحة أجيالنا القادمة. والمماطلة في قبول حقائق اليوم وما يحمله الغد من تحديات ضخمة ستُسهم باتساع الفجوة بيننا وبين المستقبل، وستعمّق بالتالي الإحساس بالضعف والإحباط بيننا، إذ لكأننا الآن مجرد مجموعة صغيرة، داخل حفرة صغيرة، منشغلة تماماً بصراعاتها التاريخية (والتي هي بمقاييس اليوم الحضارية هامشية وعابرة) فيما العالم كله، من كل اتجاه محيط بـ«حفرة العرب» ينطلق بسرعة، وفي كل الاتجاهات، نحو المستقبل بكل ما يحمله من تحديات وإمكانات. أفلا نخشى أن يدفننا، في حفرتنا، غبار العاملين والراكضين بسرعة نحو المستقبل؟

أم هل يفيد أن ننادي بالصعود لأعلى قمة في محيطنا كي ننظر إلى ما يحدث خلف الجبال المحيطة بنا من حركة وركض وفعل؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

إنه قدر المتنورين بيننا أن يلحّوا كثيراً في طرح الأسئلة المحرجة والمؤلمة من أجل شحذ الهمم للتعامل بوعي ومعرفة ومقدرة مع أسئلة النهضة الجديدة مهما كانت محزنة.

فمن يقرع الجرس؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

خيارات للموت في الوطن العربي!

2008/03/19

هل يُعقل أن يصل بنا سوء الحال إلى التدافع أمام المخابز والموت في طوابير الانتظار من أجل الحصول على رغيف خبز؟ أليس في هذه الصورة المخيفة لطوابير المنتظرين أمام المخابز -في أكثر من بلد عربي- دليل ساطع على فشل كبير في خطط التنمية في المنطقة العربية؟ وهل تفيقنا أزمة الخبز الراهنة كي نعيد النظر في خطط التنمية ونبدأ جدياً في ترتيب أولوياتنا التنموية؟ وفي ظل اليأس المهيمن على المنطقة، هل نلوم آلاف الشباب العرب إن بحثوا عن أي فرصة للهجرة الدائمة إلى الغرب؟ تلك أسئلة أثق أنها تثار اليوم في أكثر من عاصمة عربية غير أن الأهم من طرح الأسئلة هو البدء بتنفيذ مشاريع تنموية تأخذ بالحسبان أهمية البحث عملياً عن آليات ضمان «الأمن الغذائي» عربياً قبل أن تكبر المشكلة وتزداد تعقيداً. واحد من الأسباب الجوهرية في هذه الأزمة يأتي في غياب القراءة الصحيحة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

والدقيقة لما يحدث اليوم في العالم من حولنا. يخبرني مسؤول خليجي كبير قبل أيام أن بلاده الآن تعاني عودة كثير من الخبراء والمهندسين الناجحين الهنود إلى بلادهم لأن النمو الاقتصادي المستمر في الهند بدأ يوفر لهم خيارات أفضل مما هو متاح حتى في بلدان الخليج العربية. الطبقة المتوسطة في الهند تنمو بشكل متسارع، وفي نموها زيادة في الطلب على المواد الغذائية التي تصدرها الهند وزيادة في العروض المغرية للخبراء الهنود في الاغتراب. ليس جديداً القول إن نمو الطبقة المتوسطة في أي بلد هو دلالة صريحة على صحة الاقتصاد وخطط التنمية في ذلك البلد. وفي المقابل، كلما تقلصت الطبقة المتوسطة في أي بلد زادت الفجوة بين أقلية فاحشة الثراء وأغلبية ساحقة تقارب خط الفقر. المؤسف أن بيننا -ممن يُعنى بالتخطيط والتنمية- من ظن طويلاً أن العالم سيبقى على حاله وأن الهند -مثلاً- ستبقى فقيرة تصدر الأرز والعمالة إلى العرب، فيما نظل نحن في العالم العربي نبيع النفط ونشتري الغذاء وما يصنعه الآخرون وكفى الله المؤمنين القتال! هنا تزداد الصورة قتامة. وحينما تصل الحال بمجتمع يموت أفراده في طوابير الانتظار أمام المخابز، فتلك دلالة أخرى على أننا أمام كارثة خطيرة لن يتحقق معها أي سلم اجتماعي أو استقرار سياسي. تلك فعلاً خيبة أمل جديدة تعيشها منطقتنا اليوم وربما تقود إلى ما هو أسوأ.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

في العالم العربي اليوم، نحن أمام أزمة ضخمة تتمثل في زيادة خطيرة في عدد السكان مقابل انخفاض متواصل في مستوى دخل الأفراد وهجرة متلاحقة للقدرات البشرية التي تبحث - معذورة - عن نافذة أمل خارج حدود منطقة تعصف بها المخاطر من كل اتجاه. والهجرة نحو الغرب أصبحت اليوم طموحاً وأمنية لآلاف الشباب في البلاد العربية، فمن يحصل منهم على «فرصة العمر» وهي الهجرة إلى أوروبا أو أمريكا تحديداً كالناجي من محرقة! وفيما تزداد منطقتنا تصحراً وجفافاً وتتكاثر الأزمات الاقتصادية وتتكاثر المخاطر من كل صوب، تواصل النخب انشغالها بمصالحها الخاصة أو بصراعاتها الفكرية (بين الحلال والحرام والتكفير والتحريض) غافلين عن الحقيقة الأكيدة: الجميع في سفينة واحدة! أم إننا -كلنا- فعلاً في نفق لا يؤدي أبداً إلى نقطة ضوء؟ ومع كل هذا ثمة من يسأل: لماذا يهاجر الشباب العربي إلى الغرب؟

في الوطن العربي اليوم آلاف من النماذج النابغة التي حتماً سنخسرها في هجرتها أو في بقائها. فكيف لنابغة أن ينجح في بيئة لا تملك أن تهيئ أمامه أي فرصة للنبوغ والنجاح؟

قبل سنتين التقيت بشاب فلسطيني اسمه أحمد يدرس في الجامعة الأمريكية بالشارقة. لم يكن أحمد يترك فرصة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

للسؤال عن الجامعات الأمريكية إلا ويقتنصها. من أسئلته تعرف بسهولة مستوى طموحه وتطلعه للتميز. وكنت وما زلت أستثمر أي فرصة للحديث عن أحمد وما يمثله من طموح وجد ونبوغ وتطلع نحو الأفضل. هذا هو النموذج الذي تمنيت وأتمنى أن يتكاثر في بلداننا. عاد أحمد إلى دراسته وانشغلت أنا بما أنا فيه حتى جمعتني به الصدفة قبل يومين في المركز التجاري بدبي. أين غبت يا أحمد؟ كان يجيبني وحماسته الذي أعرفه فيه يطغى على صوته: أخطط لرحلتي إلى نيويورك للعمل هناك. وقبل أن أسأله عن فكرة مواصلة دراسته في أمريكا، وهي طموحه القديم، بادرني يطمئنني بأنه يخطط للعمل في الوول ستريت لسنتين أو ثلاث حتى يؤسس لمستقبله وحتى يسهل قبوله في إحدى الجامعات الشهيرة في أمريكا تلك التي تقدر الخبرة العملية كما تقدر التحصيل العلمي. لكن أحمد فاجأني وهو يتحدث بثقة في رؤيته عن حرصه على إنجاز طموحه في الدراسة والعمل في أمريكا كي يؤمن مستقبله ومستقبل أولاده. ففيما والدا أحمد يفكران في راهنه بدأ أحمد يفكر مبكراً بمستقبله ومستقبل أبنائه الذين لم يولدوا بعد. هذا هو النموذج الذي يحتاجه الوطن العربي لأنه يفكر بغده أكثر مما يفكر بيومه وهذا هو النموذج الذي -للأسف- تخسره مجتمعاتنا المزدحمة بالمنشغلين بأنفسهم وبيومهم تاركين أمر غدهم للمجهول! أم إننا أمة تسيّر أمورها بالبركة؟ وهل ستسوء

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

بنا الأحوال في الوطن العربي فنبقى أمام خيارات كثيرة للموت، كالموت عطشاً أو الموت انتظاراً لرغيف خبز أو الموت على طرق الموت بين المدن أو الموت تحت وطأة حروبنا وفتاوانا وجهلنا وخيباتنا؟ محزنة هي تلك الأسئلة!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

محررون أم مستعمرون؟

2008/05/14

انظر إلى خارطة العنف المنتشر في الوطن العربي اليوم كي تُدرِك حجم المأساة وظلام المستقبل: من اليمن إلى لبنان إلى العراق إلى السودان إلى الجزائر. في كل بلد عربي قنبلة موقوتة. في كل زاوية في محيطنا العربي مشروع أزمة جديدة. وفي كل جزء من العالم العربي قلوب مليئة بمشاعر الانكسار أو الرغبة في الانتقام. ما الرابط بين كل هذه الأزمات؟ أرجوك أن تؤجل لوم الاستعمار الأجنبي قليلاً ولنبحث في ما هو أهم وأقرب إلى الواقع. أليست العدالة المفقودة في عالمنا العربي هي التي قادت إلى شعور دفين بكل أنواع مشاعر الغبن (سياسي واقتصادي وثقافي وغيره)؟ وأذكرك بأن في كل بلد عربي أكثر من قنبلة موقوتة وأكثر من بركان قابل للانفجار في أي لحظة. لماذا؟

هناك خلط فاضح بين السلطة والتسلط، بين الإدارة والهيمنة. بين أن تكون رمزاً للوحدة وحارساً أميناً على الأمن

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

والعدالة، وبين أن تكون رمزاً للعنجهية والاستعلاء والتكبر والفساد. فما الدماء العربية التي تسيل في أكثر من جبل عربي وأكثر من مدينة عربية الآن إلا نتيجة سنوات طويلة من الظلم والجهل والإقصاء والاستعلاء.

حارب العرب طويلاً ضد الاستعمار الأجنبي، مات الملايين في جبهات القتال الحقيقية ضد الاحتلال الأجنبي فجاء احتلال آخر -ذو ملامح محلية- مكافأة لجهادهم وموتهم وتشردهم. لعل ألعن أنواع الظلم هو ذلك الذي يتكلّم لغتك ويلبس لباسك ويزعم أنه منك وفيك. من السهل على البعض أن يلوم أولئك الحاملين سلاحهم في شوارع المدن، وفي أعالي الجبال وسفوحها، وهم فعلاً يستحقون اللوم والعتب وربما التجريم. لكن غيرهم، في الضفة الأخرى من معادلة الأزمة، يتحملون وزراً أكبر في ما حدث ويحدث. وأذكّرك مرة أخرى بأن في كل بلد عربي أكثر من قنبلة موقوتة وأكثر من بركان ساكن لكن قابل للانفجار في أي لحظة.

حينما تستولي فئة عربية على السلطة فهي تعلن سريعاً الانتصار وكأنها كانت في معركة ضد غزاة من الخارج. وقليلاً قليلاً تبدأ في التعامل مع مواطني بلدانها بعقلية المنتصر والمهزوم. ثم قليلاً قليلاً تُمارس سلوك المستعمر بأقبح صور الهيمنة والإقصاء والانتقام. وقليلاً قليلاً يبدأ الطرف المهزوم -وبتأثير مشاعر

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الغبن الذي تفرض عليه كل ساعة وكل دقيقة- بالاستعداد لمعركة جديدة وبرغبة جامحة في الانتقام، وربما الانتحار من منطلق «عليَّ وعلى أعدائي». وهكذا تستمر المأساة في عالمي. وهكذا تبقى الصورة مظلمة ومخيفة في كل اتجاه أذهب نحوه في عالمي العربي المأزوم بكل أشكال التخلف والظلم والقهر. وهكذا تتأصل الهزيمة العربية وتستقر.

في الوطن العربي أكثر من نظام يزعم عرّابوه أنهم جاءوا إلى السلطة من أجل جمع الصفوف ولم الشمل وبناء الأوطان. هذا على الورق فقط. أما على الأرض فإنهم قد ورثوا عن الاستعمار أسوأ صوره، فباشروا التفريق -بكل أشكاله- ومارسوا الاحتكار بأقبح صوره وقسموا أهل بلدانهم إلى درجات وفئات ثم يستغربون -يا للسذاجة- كيف يثور الجياع ولماذا ينهض المستباح في دمه وكرامته ومواطنته؟

في سؤاله المهم: «ماذا عن حب الوطن للمواطن؟» كتب الدكتور علي محمد فخرو:

«يستطيع القادة السياسيون أن يؤكدوا نواياهم الحسنة ويتحدثوا عن أحلامهم المستقبلية الوردية، ويستطيع قادة الاقتصاد المباهاة بحجم الاستثمارات الخارجية والداخلية وارتفاع نسب أرباح الشركات والبنوك وغيرها، ويستطيع المتربعون

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

على عرش الإعلام، من مرتزقة ومتعبين متساقطين في أنصاف الدروب الوعرة ومبهورين بجمال الماكياجات والعطور المسكوبة على الأجساد القذرة النتنة، أن يكذبوا ويتلاعبوا بعواطف البشر ويتوجهوا إلى بناء قلاع فوق الرمال ... يستطيع كل هؤلاء وغيرهم أن يرقصوا ويغنوا لوطن مجرد وفي صورة خيال، لكن الحقيقة ستبقى: لا وطن من دون شروط وتبعات ومسؤوليات تجعله وطناً للجميع وسكناً للجميع ومشروعاً للجميع ومن دون أي تفريق بسبب الدين أو المذهب أو الجنس أو القبيلة أو العائلة». (الاتحاد – 20 كانون الأول/ديسمبر 2007).

و لهذا يأتي السؤال مشروعاً: كيف ينتصر الإنسان العربي في معاركه الخارجية وهو مكسور ومهزوم ومقهور ومهان بالداخل؟ وكيف تلوم الغريق إن استنجد بأي شيء وهو يصارع الموت ويبحث عن يد تمتد لنجدته؟

حينما يطالب دعاة الإصلاح في الوطن العربي بتفعيل مشاريع الإصلاح وبالبدء عملياً في برامج إصلاحية حقيقية على الأرض لا في المكاتب أو على الورق، يأتي (من أهل السلطة) من يذكر بالمشهد المظلم من حولنا: ألا ترون ما يحدث في العراق؟ وكأن المطالبة بالإصلاح هي التي تقود إلى مشاهد الرعب كتلك التي في بغداد. ولهذا وقبل الحديث عن الإصلاح في المحيط

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

العربي لا بد من أن يبادر دعاة الإصلاح العرب بالسؤال: ألا ترون ما يحدث في العراق؟ حيا على الإصلاح!

عد إلى مشهد الفوضى والدماء في أكثر من قطر عربي ثم اسأل الأسئلة المهمة. كيف وصل بنا السوء إلى هذا الحد؟ أليست كثير من الأنظمة السياسية في العالم العربي هي من أسّس لهذه الثقافة المتعطّشة للسلطة وللهيمنة وللاحتكار ولممارسة الإقصاء؟

قالوا إنهم جاءوا محررين من الاحتلال والاستعمار، فصاروا هم المستعمرون والطغاة. قالوا إنهم جاءوا للم الشمل فصاروا هم المفرقون. قالوا إنهم انتصروا (بانتزاعهم السلطة في بلدانهم) فهيأوا لأبشع صور الهزيمة والانكسار والهوان في بلدانهم. فكيف لنا أن نخطط لتنمية إنسانية شاملة قبل أن نبدأ بطرح الأسئلة الملحة عن أسباب التخلف والهزيمة في محيطنا العربي؟ ومتى نقرأ سيرة الأبطال الحقيقيين في عالمنا العربي وخارجه من بناة الأوطان الحقيقيين كي ندرك الفرق بين من يبني وطناً وبين من يهدم أوطاناً؟

لا يكفي أن نحذر من تكرار المأساة في مواقع جديدة على خريطة البؤس العربي لأن التحذير وحده لا يكفي. فإن لم تتحقق العدالة لكل فئات المجتمع وتتاح فرص حقيقية ومتساوية للمشاركة في الحراك السياسي والاقتصادي في الوطن العربي فستبقى

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

براكين الغضب ومشاعر الغبن تهيئ لمزيد من المآسي والهزائم للإنسان العربي. إن تحقق العدالة للجميع هو شرط لتحقق وحدة وطنية حقيقية ستشكل سداً منيعاً بوجه كل التحديات داخلية كانت أو خارجية.

انتبه: في مشهد الفوضى المحيط بنا اليوم من كل اتجاه، لا تلم طرفاً واحداً. الجميع شركاء في المهزلة!

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

لماذا يكره العرب بعضهم بعضاً؟

2008/05/21

قبل أيام، ذهبتُ مع صديق فرنسي نكتشف مطعماً جديداً بأحد المشاريع الجديدة في عاصمة الأناقة دبي. في هذا المطعم تُقدم خيارات من المطبخ العربي: لبناني ومصري ومغربي. كان كبير الطهاة يشرح لصديقي أنواع الأكلات الموجودة، ثم توقف طويلاً عند المطبخ المصري يشرح لصاحبي ويقنعه بأن هذا القسم يقدّم ألذ الوجبات. سأل صديقي كبير الطهاة مازحاً، بعد مدحه الطويل للمطبخ المصري: لا بد أنك مصري؟ فرد كبير الطهاة سريعاً برد أحمق لم نتوقعه نكّد علينا فرحتنا باكتشاف مكان جديد في دبي: «أقتل نفسي ولا أكون مصرياً»! قبل أسبوع على هذه القصة، كان صديقي يتحدث مع شاب مصري عن أحوال لبنان وفوجئ بموقف مماثل: «الموت أفضل لي من أن أكون لبنانياً». سألني صديقي: لماذا يكره العرب بعضهم بعضاً؟

في واشنطن قبل سنوات، كنت في مقهى عربي يُصر صاحبه على أنني لست من بلدان الخليج، ولا أعرف لماذا كان يُصر على

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

رأيه، وكان يكيل أقبح الشتائم للسعوديين والخليجيين فلما تعبت من محاولاتي بإقناعه أن موقفه من إخوته في الخليج معيب، وأن التعميم خطأ وبأننا ننتمي لثقافة واحدة ولغة واحدة وتاريخ واحد - إلى آخر قاموس خطابنا العربي التقليدي - اضطررت إلى ترك المقهى احتجاجاً على بذاءته وعنصريته ووقاحته. عندها أدرك أنني فعلاً من السعودية، فلحق بي إلى السيارة، معتذراً بإهانة أخرى: «آسف. لم أكن أظن أنك من السعودية»! ثم أراد أن يكحلها فأعماها، حينما قال: «أنت لست مثل بقية السعوديين لأنك شخص محترم ومؤدب». وقصص من هذا القبيل كثيرة وتتكرر -للأسف- بأشكال متعددة كل يوم وربما كل ساعة. فإذا نظرنا إلى خارطة الكره العربي لصدمنا بواقعنا، إذ يبدو أن خصومات السياسيين العرب ومعاركهم ساهمت بتفشي كراهية الشعوب العربية لبعضها، فحتى عند تُصالح السياسيين وتقاربهم تبقى الشعوب العربية أسيرة لخطاب الكره الذي روّجت له ورعته آلات البروبغاندا في كل بلد عربي! ولهذا كثيراً ما أسأل العرب الذين ينادون بتكثيف الجهود لممارسة الكذب والدجل بتحسين صورة العربي في الخارج: كيف يستوي الظل والعود أعوج؟ كيف نطالب العالم بأن ينظر إلينا بنظرة احترام وتقدير ونحن لا نحترم أنفسنا ويهين بعضنا بعضاً؟ وكيف نغيّر من صورتنا عند العالم قبل أن نغيّر صورتنا عند أهلنا وإخوتنا في الدم والتاريخ في الوطن العربي؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

حينما عاد صديقي الفرنسي إلى السؤال: لماذا يكره العرب بعضهم البعض أخذتني العزة بالإثم، فرددت عليه بسؤال ظننت أنه سيخرسه إلى الأبد: ولماذا تقاتل الأوروبيون لعقود طويلة ونحر بعضهم البعض حتى سالت أنهار من الدماء لا تزال شواهدها بارزة إلى يومنا هذا؟ وأنا هنا مارست ممارسة عربية معتادة وهي أن تجيب عن السؤال المحرج بسؤال آخر. فإن سُئلت عن أوضاع المرأة العربية اليوم فرد بسؤال آخر عن أحوال المرأة في أمريكا قبل 200 سنة! لكن صديقي الفرنسي لم يتنكّر لتاريخ أوروبا الدموي، ولم يتهرب من سؤالي بأسئلة أخرى، ولكنه شرح لي أن مصدر تساؤله نابع من قناعته بأن العوامل المشتركة بين العرب -من لغة واحدة وتاريخ متقارب وثقافة في جذورها واحدة- كثيرة ومع هذا يبقى العرب متنافرين متباعدين متباغضين. لماذا؟ حقاً: لقد تجاوز الأوروبيون كل الفوارق الجوهرية وغيرها في ما بينهم، وتعايشوا بعد أن أدركوا أن الطريق الوحيدة للبقاء هو التعايش بتعاون وتقدير لإمكانات كل طرف. مع الوقت ذابت الحواجز وبقيت الفوارق الجوهرية التي لا تتعارض مع التعايش المشترك، فالإيطالي ما زال متمسكاً بلغته الإيطالية وتاريخه وثقافته الخاصة لكن هذه الفوارق لم تعزله عن التعامل الواثق مع ألمانيا أو فرنسا أو بريطانيا أو إسبانيا، تعامل قائم على مصالح مترابطة ورؤية متناسقة لتحديات المستقبل ومخاطره. لم يعد

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

جديداً القول إن ما يجمع العرب اليوم من ثقافة ولغة ومصالح ومخاطر يفترض أن يكون أكبر وأكثر وأهم مما يجمع بين الأوروبيين الذين نجحوا وسادوا حينما تجاوزوا إرث الماضي من حروب وصراعات، وأدركوا تحديات المستقبل ومخاطره. هناك دائماً فارق كبير بين من يعيش أسيراً للماضي، وبين من يسابق الزمن نحو المستقبل.

في الثقافة العربية -إلى اللحظة- ما زال البحث عن ثارات الماضي ومآسيه ممارسة حيّة بيننا. فالقبيلة التي لم يستطع أجدادها الثأر لجدهم المقتول على يد ابن عمه قبل 450 سنة ما زالت تتوارث العار والتهديد بالثأر إلى اليوم وإلى الغد! لكن هذه القبيلة التي قتل الغزاة الأجانب نصف أهلها قبل 100 سنة نست القصة وربما حفرتها في ذاكرة «بطولة» القبيلة وأمجادها.

لماذا يكره العربي أخاه العربي؟ لماذا يحقد العربي على أخيه العربي؟ ولماذا يحسد العربي أخاه العربي؟ ولماذا لا يتسامح العربي مع أخيه العربي ويتجاوز عن أخطائه وسقطاته؟ وفي ثقافة الكره العربي العربي المعاصر، يتساوى كبير الطهاة في قصتنا أعلاه مع كثير من المثقفين والسياسيين وبقية النخب العربية. لا فرق إلا في درجات الكره وأساليب التعبير عنه! انظر إلى خارطة المأساة الحيّة في لبنان اليوم لترى صورة مصغرة لحالة البؤس

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

العربي الشامل. فلو حللنا جوهر الأزمة القديمة الجديدة في لبنان -بغض النظر عن التجربة السياسية الطائفية المؤسسة منذ زمن- لخرجنا بالنتيجة نفسها: كره العرب لبعضهم البعض والغياب الكامل لثقافة التسامح بين العرب أنفسهم سببان أساسيان لكثير من أزماتنا في لبنان وبقية البلاد العربية. فثقافة الكره المتأصلة بين العرب لا تزال للأسف تتغذى بجهالات أهل السياسة وألاعيب صبيانهم في وسائل الإعلام المختلفة عبر تعميمات ظالمة أو سخرية مهينة أو تحريض مبطن. وعند أي أزمة سياسية جديدة تطفو سريعاً على السطح كل العاهات والأمراض العربية، بدءاً بكره العرب لأنفسهم ولبعضهم البعض.

إذاً ما الحل؟

إن علينا في العالم العربي أن نختار إما أن نكون عرباً يحترم بعضنا بعضاً (ولا أطالب أن يحب بعضنا بعضاً) ونعمل سوياً ، كل في دولته أو دكانته، برؤية واعية لتحديات المستقبل وفرصه، أو أن نبقى دولاً وشعوباً متناحرة متصارعة، أو كما لو أنها قطيع غنم يناطح بعضها بعضاً فيما الذئاب تحيط بها من كل اتجاه وتفترسها واحدة واحدة!

متى نتعلم؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

متى يعترف العرب: «بلانا فينا»؟!

2009-02-04

ثمة درسان أساسيان ومهمان في الصراع العربي – الإسرائيلي، أعادت أحداث غزة الدامية تأكيدهما: الأول، أن إسرائيل دائماً تراهن بالدرجة الأولى على قوتها العسكرية كضمان أساسي لبقائها. والدرس الثاني أنه مهما وقّع من «اتفاقيات سلام» بين الحكومات العربية وإسرائيل ستبقى فلسطين هاجس الإنسان العربي وأرقه، ومصدراً من مصادر حزنه وألمه وأسفه.

إسرائيل تستغل كل فرصة من أجل عرض قوتها كرسالة هي حياتها أو موتها، لتؤكد أنها لن تتردد لحظة واحدة في تلقين من يهدد أمنها (وجودها) درساً بالغ الألم. وفي المقابل، يرى قطاع واسع من العرب أن المقاومة ورفض الوجود الإسرائيلي في فلسطين كلها هو موقف ثابت لن تغير منه تنازلات سياسية أو اتفاقيات سلام هزيلة هنا أو هناك.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ألهبت أحداث غزة مشاعر قطاع واسع من العرب وأعادت «الوهج» إلى روح الرفض والمقاومة الشعبية، ووحّدت مشاعر الشعوب العربية ضد إسرائيل بعد فتور أوجدته تناقضات السياسة العربية وضعفها. لكن الحقيقة على الأرض تبقى هي هي: إسرائيل دولة قوية بنظامها الداخلي، وبالتالي بتفوق جيشها! وإسرائيل تستقي قوتها من قوة نظامها الديمقراطي وقوة جيشها وتفوقه إدارياً وتقنياً. وجيشها القوي ليس سوى امتداد لقوة مؤسساتها وأنظمتها، بخاصة ذات العُلاقة بالرقابة والمحاسبة.

ومع التقدير لمشاعر شعوبنا العربية إلا أن «العاطفة» وحدها لن تحرر أرضاً، ولن تقدّم شعباً، أو تجعل منه قوة يهابها الخصم. إنها الحقيقة التي أكدتها هزائمنا العربية المتواصلة: لن تنتصر في أي معركة مع الخارج قبل أن تنتصر في معاركك مع الداخل! وأمام العرب اليوم معارك داخلية صعبة تبدأ بالعقل ولا تنتهي بمحاربة الفساد والظلم وغياب «الإدارة» المنظمة لشؤون الإنسان وهمومه واهتماماته! دعك من لغة الوعيد والتهديد في الخطب الرنانة في «قمم» العرب، ودعك من تلك «الانتصارات» الزائفة التي يُعلن عنها في كل مواجهة جديدة مع إسرائيل! فالحقيقة المرة تبقى هي الحقيقة: هزيمة العرب هي امتداد لهزيمة الإنسان العربي التي جاءت أصلاً على يده. وهزائمنا للأسف تأصّلت حتى تكاد تكون هي «المؤسسة» العربية الوحيدة ذات النظام المنظم

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

والمستمر. فمنذ ولادة الإنسان العربي وهو يتعرض لحملة تجهيل وغسل دماغ في مشروع ساهم بجرجرة العقل العربي من نكبة إلى نكبة، ومن هزيمة إلى هزيمة. فالنظام العربي اليوم، من التعليم إلى الإعلام إلى الصحة إلى العمل السياسي إلى الفتوى الدينية... إلى... إلى... ينتج في النهاية ثقافة من «الهزيمة» من شدتها أخرجها العقل العربي بمسميات مختلفة مثل «كبوة» و«نكبة» و«نكسة»!

هذا صحيح.. لن تنتصر في معركتك مع الخارج قبل أن تنتصر بمعاركك في الداخل. ومعارك الداخل تراكمت وتشابكت وتعقّدت حتى صار أشبه بالمستحيل أن تعرف من أين وكيف يمكن أن تبدأ في جردها وحسابها!

ليس من باب «جلد الذات» أن نسأل أنفسنا: لماذا لا نقرأ تجارب الآخرين وقصص التاريخ مع النصر والهزيمة، مع التفوق ثم السقوط، مع الصعود ثم النزول، عسى أن نجد «المخرج» لكثير من أزماتنا، أو نعرف مواجهة السؤال: كيف ومن أين نبدأ؟ سأرمي بشماغي وعقالي بين يديك كي أرجوك أن تؤجل إلقاء اللوم على «الخارج» قليلاً، وأنظر بشجاعة وصدق إلى أحوال الداخل كي تدرك أن «بلانا فينا»!

ثمة فعلاً «منظومة» متكاملة للهزيمة في عالمنا العربي، لن

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يفلح النظام السياسي العربي بمواجهتها، لأن مصالحه وكيانه وبقاءه ارتبط عضوياً بهذه «المنظومة» المعقدة من أدوات تشكل «كيان» الهزيمة في العالم العربي اليوم، وليس من مخرج قبل الشروع عملياً وبشجاعة في الاعتراف بالهزيمة. وحينها يمكن البدء بلملمة بعض الجراح، وإعادة التفكير بواقعنا وأحوالنا لعلنا أولاً نعرف كيف نصلح بيتنا من داخله! وإن لم نفعل... ستظل إسرائيل تجرب فينا أحدث مبتكرات الدمار والموت... ويستمر تراجعنا وانقسامنا وضياعنا، ولا نملك، في ظل هذا الواقع، سوى الصراخ الذي وحده لن يحرر شبراً من فلسطين، ولن يضع حداً لهزائم العرب!

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

قمة عربية للتنمية الإنسانية... متى؟

2009/4/1

إنها الحقيقة المؤلمة التي يجب، نعم يجب أن نستوعبها إن أردنا الخروج من كوارثنا العربية الراهنة، فالمشهد السياسي العربي اليوم أقرب ما يكون إلى لمشهد إبان عصور «ملوك الطوائف». فنحن أمام خيارين: إما تضييق فجوة الاختلاف وإيقاف الحروب والمنافسات السياسية بين بعض الحكومات العربية، وبالتالي فتح صفحة جديدة وحقيقية من التعاون، أو استمرار الضعف العربي والانهيار أمام قوى إقليمية جديدة تستثمر في الضعف العربي وتعميق انقسام العرب، ولو صدقت النيات وتمت مواجهة حقيقية وصادقة لأزمات العالم العربي لرأينا واقعاً عربياً مختلفاً أكثر إيجابية وأصدق استشرافاً للمستقبل، وهنا يكون التحدي: كيف نبدأ فعلاً في برنامج مصالحة حقيقي ينطلق من إيمان أكيد بأهمية التوافق والتعاون العربي - العربي، ليس

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

فقط لإشكالات الراهن ولكن أيضاً -بل والأكثر أهمية- لمستقبل الأجيال العربية القادمة؟

ليس صحيحاً أن قدر كل جيل عربي جديد أن يرث أعباء الأجيال التي سبقته، وأخطاءها على أصعدة السياسة والاقتصاد والعلاقات الدولية، ولهذا يكون الظرف العربي الراهن «فرصة تاريخية» جديدة أمام العرب، فثمة خطاب سياسي جديد في واشنطن يفتح أبواب الأمل أمام فهم أمريكي جديد، واقعي ومنطقي وليس فيه لغة غرور أو موقف فوقي، ويمكن استثماره لصالح الملفات العربية الكثيرة المعلقة.

تُسهم الأزمة المالية العالمية الراهنة اليوم في إعادة حسابات المواقف وصياغة المشهد الاقتصادي العالمي القادم، ودول العرب النفطية تستطيع القيام بدور رائد في هذا التوجه، وأهم مما سبق أن «الإحباط» قد وصل في الوسط العربي إلى درجة لم تعد تُطاق، ولعلها فرصة ثمينة أن تستثمر المرحلة الحالية بتفكير جديد يعيد ترتيب سلم الأولويات العربية، ويقدّم التنمية الإنسانية الحقيقية على بقية الحسابات.

إن العالم كله اليوم أمام حقائق جديدة كلها تؤكد أن مسار التغيير المنطلق بسرعة سيعيد تشكيل كل المشاهد وما الاقتصاد إلا أحدها، انظر في معالم التغيير من حولك، في

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

التقنية التي بجيبك وهي المتغيرة باستمرار، في نمط حياتك، في سيل القنوات الفضائية المتدفق داخل منزلك، في ألوان الناس المحيطة بك، في جدول أعمالك وأسفارك، في كل ما يحيط بك، وتأكد أننا ما زلنا في بداية الطريق وأمامنا سيول أخرى من التغيير وما يرافقها من تحديات وصعاب، إنه عصر تحكيم العقل أوّلاً.. نعم أولاً، وقبل أي شيء آخر، وواحدة من الخطوات المهمة هنا أن نلح على التفاهم العربي- العربي، فإن لم يُسهم هذا التفاهم العربي المرجو في دعم فرص التعاون بين العرب فعلى الأقل لعلّه يوقف هدر الجهود وتشتيتها في منافسات سياسية لا تسمن ولا تُغني من جوع.

إن الوقت المهم اليوم هو الوقت الذي يصرف على التنمية الإنسانية، على التعليم والصحة وابتكار طرق جديدة لتحسين مداخيل الإنسان العربي وفتح نوافذ جديدة أمامه لرؤية بعض ملامح المستقبل، فما تصرفه بعض الحكومات العربية على مناكفاتها السياسية سيكون من الأجدى أن يوجه -مع ما يرافقه من جهد وصرف باذخ- لدعم مشاريع تنموية عملاقة تخدم مستقبل الإنسان العربي، وهذا ما يخلّد الدور الريادي لتلك الدول، ويؤسس لها الاحترام والتقدير أمام شعوبها وشعوب المنطقة كلها، ونحن هنا لسنا بصدد خطاب «قومي» فضفاض تناقضه أبسط حقائق

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الانقسام العربي على أرض الواقع. لا، ليس هذا الاتجاه، فلتبق كل دولة عربية على حدودها وأنظمتها و«خصوصيتها»! لكن ما الذي يمنع أن يقيم العرب مشاريع تكاملية تخدم التنمية المرجوة عربياً؟ ما العائق أمام سكة حديدية تربط بين البلدان العربية، أو شبكة طرق منظمة وآمنة بين دول المنطقة؟ وما الذي يؤخر تنفيذ ما سبق أن اتفق عليه مثل سوق عربية مشتركة وعملة خليجية موحدة وأنظمة مشتركة تسهّل الحركة وتشجع التبادل التجاري بين الدول العربية؟ وإلى متى يخشى الإنسان العربي أن تبقى قرارات القمم العربية التي تعنى بالاقتصاد والتنمية مجرد حبر على ورق؟ لا شيء يعيب فكرة «المصالحات العربية»، ولكن السؤال الأهم: ثم ماذا؟ تصالح الزعماء العرب، وهذا خير وبركة ندعو الله أن تدوم طويلاً هذه المرة، لكن ماذا يهم المواطن العربي إن لم تنعكس هذه المصالحات على حياته ومستقبله؟ أم أن «الخصومات» ثم «المصالحات» هي فقط شغل القمم العربية؟ أو هل نعتاد على قمة للخلاف والخصومة ثم تتبعها قمة أخرى للتفاهم والمصالحة؟ الحقيقة التي أدركتها دول حلف الأطلسي والاتحاد الأوروبي قبلنا هي أن التعاون الاقتصادي والثقافي يبقى أقوى من كل التحالفات والألاعيب السياسية، إنه عصر الاقتصاد ولا سبيل للبقاء إن لم تكن التنمية الإنسانية على رأس قائمة الأولويات... قمم عربية

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

كثيرة للمصالحات وخلافات السياسة، وقمة يتيمة للاقتصاد؟

متى تصبح تنمية الإنسان العربي همّ القمم العربية؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

«جدران برلين» العربية!

2009/05/06

منذ ما يقارب العشرين عاماً، شهد العالم احتفالات الألمان بسقوط جدار برلين الذي قسّم وفصّل بلادهم إلى شرقية وغربية. سقط جدار برلين في برلين، وكان سقوطه حدثاً عالمياً شكّل تاريخاً فاصلاً بين مرحلتين مختلفتين من عمر الشعوب وحركة التاريخ. ولكننا في العالم العربي -كما تثبت الأيام والأحداث في محيطنا- لا نزال لا نعرف كيف نقرأ التجارب الإنسانية داخل حدودنا وخارجها. أم أن التاريخ في منطقتنا يسير وفق منظومة فكرية خارجه عن حركة التطور العالمي ومسيرة الأمم الأخرى؟ أو أن التراجع صار مكوناً جينياً في العقل العربي؟ فبدلاً من أن تسقط جدران كثيرة كانت تفصل بين العربي والعربي، بين المصالح العربية المتجانسة، وبين البلاد العربية المتجاورة، وبين العقل العربي وحقائق التغيير على الأرض، بين الإنسان والإنسان في العالم العربي، شيّدت جدران فصل وعزل جديدة متينة البناء ويكاد يصعب الخلاص منها. جدران برلين العربية تكاد تتأسس

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

وتنتشر في كل ركن من أجزاء الوطن العربي، وربما بداخل الإنسان العربي في رؤيته وتعامله مع من حوله في محيطه العربي. ونتائج هذه الجدران العازلة تبدو واضحة في كثير من تفاصيل المشهد العربي الحالي، وفي صور الهوان والضعف التي هي عنوان المرحلة العربية الراهنة على أكثر من صعيد! في بيروت، وعلى مدى ثلاثة أيام من اللقاءات خلال هذا الأسبوع، شاهدت جدران برلين انتشرت في كل زاوية من زوايا المدينة التي نظرت إليها يوما كـ«عاصمة النور» العربية، وهاهي اليوم أنموذج صارخ لثقافة انقسام مخيف تشيد على أساسها «جدران برلين» العربية. ما خلت جلسة واحدة من قذائف تهم مخيفة تتبادلها كل الأطراف اللبنانية إزاء أزمات لبنان المتلاحقة ولعبة تبادل التهم بين اللبنانيين هي دائماً سيدة المشهد. هنا، في بيروت، يستمر التراشق السياسي كما لو أننا أمام صراع بين دول لا اختلاف سياسي بين أحزاب ورؤى سياسية. ولئن كانت الحالة اللبنانية تكاد تكون مستعصية على الحل بحكم تاريخ لبنان السياسي شديد التعقيد، وتداخل «الخارج» مع «الداخل» في لعبه السياسية وتركيبته الطائفية المتجذرة، فكيف لنا أن نفهم صور الانقسام التي تشهدها قائمة طويلة من بلداننا العربية؟ انظر إلى خارطة «الخطر» العربي المعاصر وعدّ «جدران برلين» العربية التي بناها العرب بأيديهم، ومعها «جدران برلين» العربية في طور البناء كي تدرك أن الحالة اللبنانية ليست

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

سوى أحد النماذج الصارخة في المشهد العربي المعاصر. وفي الوقت الذي تواصل مؤسسات البحث المعنية بالتنمية الإنسانية في منطقتنا -من عربية وأجنبية موثوقة ونزيهة- تذكيرنا بحجم المأساة في عالمنا عبر رصد ظروف المشهد التنموي العربي من بطالة وأمية وتراجع اقتصادي وتردٍّ في مستوى التعليم والحريات والحقوق، تُصر كثير من المؤسسات الرسمية في أكثر من بلد عربي على بناء جدران برلين عازلة بين القرار التنموي الصح والحقائق المؤلمة على الأرض! والأسوأ أن تظهر أصوات في العالم العربي تنادي بأن مشكلة كل بلد عربي تبقى محصورة في إطارها القطري الضيق. تلك - في رأيي - حماقة. ففقر اليمن لن يبقى طويلاً مشكلة يمنية فقط. وخطر الأصولية في بلد عربي ما لن يبقى خطراً خاصاً بمحيطه الجغرافي الضيق. وقس على ذلك بقية المشكلات السياسية والتنموية الأخرى في عالمنا العربي. من هنا يأتي النداء (إن كان ثمة من يسمع) إلى وقفة عربية جادة وصريحة وعاجلة لفهم حجم المشكلة أولاً. هنا تأتي الخطوة الأولى بمواجهة التحديات الكبيرة والكثيرة: لنقرأ المشكلة أوّلاً. لنفهم تفاصيلها المعقدة ثانياً. لندرك خطورتها ثالثاً. لنبدأ في رسم «خريطة الطريق» لمباشرة الحل. ولتكن الخطوة الأولى في مشروع «الحل» هي البدء الآن الآن في إسقاط أولى «جدران برلين» العربية القديمة: الجهل بحقائق التغيير من حولنا! في مؤتمر القيادات

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

العربية الشابة الذي عقد مؤخراً في بيروت، اجتمع ما يقرب من 400 من القيادات العربية الشابة على مدى يومين.

كانت المجموعة عيّنة من نخبة الشباب العربي المتعلم المسلّح بتجارب نجاح باهرة في أكثر من قطاع. إنها فعلاً مؤهلة بأدوات تتطلبها ثقافة القيادة المعاصرة من تعليم واطلاع على تجارب العالم وانفتاح على حقائق التغيير في عالم اليوم. وكان اللقاء فرصة أخرى للتذكير بحجم المشكلة والبحث عن الحلول. ولكن يظل السؤال: إلى متى تبقى مثل هذه العقول المؤهلة بعيدة عن صناعة القرار «التنموي» في العالم العربي؟ تلك النخبة معنية، مثلها مثل آلاف المؤهلين والمخلصين من شبابنا العربي على امتداد الجغرافيا العربية، بهدم ما يمكن من «جدران برلين» العربية. إنها معنية بما أوتيت من تواصل إيجابي مع قيادات سياسية وإدارية في عالمها العربي أن تلح أكثر على تأدية أدوار أكبر في إدارة المخاطر وتبني مشاريع التغيير الإيجابي المهم في منطقتنا. إنها مهمة صعبة بل وشديدة التعقي، لكنها أبداً ليست «المستحيل»! وهنا حكمة: سئل طاغور: أين يسكن اليأس؟

أجاب: في عقل العاجز!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

إشكالية تنموية: الجامعة أم القبيلة؟

2009/05/20

إذاً، سلطة القبيلة، بإمكاناتها المادية المحدودة، ما زالت أقوى من ثقافة الجامعة وتأثيرها؟ في نجران، جنوب السعودية، نجحت القبيلة في حل خلاف بين مجموعة من طلاب جامعة نجران أدى إلى دخول أحدهم المستشفى لمدة 11 يوماً، وكاد يفقد حياته بعد أن لاحقته مجموعة من طلاب الجامعة، من قبيلة غير قبيلته، بسيارتهم محاولين دهسه.

ويصف الخبر الصحفي الذي نشر عن هذه الحادثة أن أبناء قبيلة الطلاب المعتدين قد حضروا إلى مقر القبيلة الثانية (قبيلة الطالب المعتدى عليه) معتذرين عما بدا من أبنائهم، حاملين معهم عشرة خرفان وقعوداً خاضعين لأي طلب للتكفير عما بدا من أبنائهم، وانتهى الجمع إلى صلح بين القبيلتين مع رفع «الراية البيضاء» للقبيلة التي قبلت الصلح. واللافت أن أجهزة الأمن

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

قد حضرت أيضاً إلى مكان الصلح، «وكان لها الدور البارز في التنظيم والمتابعة»، كما ورد في الخبر المنشور بصحيفة الرياض (30 كانون الثاني/يناير 2009).

هكذا تكون محاور القصة أعلاه: جامعة، قبيلة، أجهزة أمنية، شباب (طلاب جامعة)، وعشرة خرفان وقعود. في هذه الحادثة، لا نلوم القبيلة التي وجدت، وفقاً لأعرافها وتقاليدها، حلاً لمشكلة كان يمكن أن تتطور فتدخل القبيلتان في صراعات ثأر قد تنتهي بمزيد من الدم. وفي الوقت نفسه لا نلوم الأجهزة الأمنية التي سهّلت مهمة الصلح بين القبيلتين. وأيضاً لا نلوم الجامعة الحديثة التي تأسست في أحضان القبيلة التي تحاصرها من كل اتجاه. لكن هذه الحادثة يجب أن تساعدنا في طرح أسئلة أخرى حيال فكرة «التنمية» في عالمنا العربي. كيف تنتقل بالفرد من عصبية القبيلة إلى مجتمع جديد وفكر جديد يغيّر من سلوكه، ومن رؤيته تجاه ذاته وتجاه الآخرين؟ ومن يؤثر في من؟ هل تؤثر الجامعة في المجتمع أم يؤثر المجتمع في الجامعة؟ هنا قصة طريفة من قرية قصية في منطقة سعودية نائية.

قبل ثلاثة عقود، أسست وزارة المعارف آنذاك مدرسة لمحو الأمية. بدأ كثير من أبناء القرية بالانضمام إلى المدرسة، لكن القليل منهم فقط تعلّم بعض أبجديات القراءة والكتابة. لم يستفد

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

من المدرسة سوى عدد قليل. ويرجع السبب في ذلك إلى أن المعلمين في تلك المدرسة، وكانوا قادمين من مناطق أخرى وبلاد عربية أخرى، وجدوا أنفسهم تدريجياً وقد احتوتهم ثقافة القرية حتى أسرتهم. في أيام كثيرة استفزع أهل القرية بالمعلمين لمشاركتهم البحث عن غنم ضائعة. وفي أوقات أخرى اضطر معلمو المدرسة إلى المساهمة باحتفالات الصلح بين أبناء القرية المختلفين على قطعة أرض، أو بسبب كلمة قيلت في أحد مجالس القرية. وفي الأوقات القليلة التي يحضر فيها أبناء القرية إلى مدرسة محو الأمية، تتحول فصول المدرسة إلى أماكن للاجتماع وشرب شاي «العصرية»، وسماع آخر أخبار القرية، فأغلقت المدرسة وباء مشروع مكافحة الأمية في تلك القرية بالفشل. بمعنى آخر، نجحت القرية في احتواء المدرسة إلى ثقافتها وتقاليدها وعوالمها. لكن يبقى السؤال المهم: ماذا يتعلم الطالب في مدرسته أو جامعته؟ القراءة والكتابة؟ هل يقرأ الطالب كي يكتشف عوالم جديدة للمعرفة والاكتشاف؟ أم تصبح القراءة أداة لمزيد من التجهيل؟ القضية ليست في القدرة على القراءة، فالقراءة بحد ذاتها أداة، لكنها في ما يقرأ الإنسان، أي: هل تقرأ ما يساعدك على الانفتاح الإيجابي على المعرفة، أم تقرأ ما يختزل فكرك ورؤيتك في مواقف تزيد من انغلاقك وتهميش اهتماماتك؟ تأمل في حال كثير من أبناء الأجيال السابقة التي لم تتح لها فرصة تعلم القراءة والكتابة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

وكيف كانت أكثر تنويراً وانفتاحاً في رؤيتها الحياة ونفسها والناس من حولها. إنها التجربة (المحك) التي تنقل الإنسان من مرحلة ما إلى مرحلة أخرى من التفكير والرؤية والتعامل. ولهذا فالطلاب الجامعيون في جامعة نجران الذين اعتدوا على زميلهم، من غير قبيلتهم، قد يكونون من أفضل طلاب الجامعة في تحصيلهم الدراسي، وربما تخرجوا في الجامعة بامتياز، لكن كل ذلك لن يعني مقدرة على الخروج من أسر القبيلة التي مثلما تزرع في عقول أبنائها كثيراً من قيم الخير والكرم والشهامة، فإنها أيضاً تفرض على الفرد مفاهيم مثل الحميّة والعصبية والثأر، مفاهيم (أو قيم) يصعب عليها أن تتعايش مع الزمن الجديد حيث يفرض على المرء الخروج من دائرة الجماعة الصغيرة (القبيلة) لكي يصبح -رغماً عنه- «فرداً» في مجتمع عالمي له مفاهيمه الجديدة وقيمه المختلفة. من هنا يصبح السؤال مشروعاً: أي خطط تنموية يمكنها أن تساعد المجتمع على التعامل مع الحياة بأدوات ومفاهيم العصر؟ ولهذا، فإن حادثة طلاب جامعة نجران، إذا قرأناها في سياق تنموي أشمل، هي، في الواقع، قصة العالم العربي في مجمله. فالقبيلة التي تُصر على العيش في الماضي، وتتشبث بما بقي لها من «هيبة» لا تعرف إلى أين ستأخذها رياح التغيير الكبير من حولها. والإنسان العربي اليوم يعيش أسيراً في عنق الزجاجة، فإمّا نجح في الخروج إلى عالم فسيح ومليء بالتحدي الممتع، وإمّا

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

عاد إلى قاع الزجاجة لا يقوى حتى على التنفس؛ لأن زجاجته تلك قد يدفنها غبار المنطلقين سريعاً نحو مستقبل مختلف بشروطه التي لن يقواها سوى المصرين على البقاء!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أمجاد يا عرب!

2009/07/01

في مشواري اليومي من وإلى البيت والمكتب في دبي، أستمع بإنصات لإذاعة البي بي سي. حوارات إذاعية مثيرة تُسهم بمتعة القيادة عبر شوارع دبي الأنيقة. هذا الصباح كان غير صباحات البي بي سي السابقة. محللة أجنبية تتحدث عن مستقبل العراق بعد رحيل القوات الأمريكية. دعك من كثير من «التنظير» والتحليل السياسي، فأكثره بليد، إذن أمام العراق، وكان الله بعون العراقيين، مرحلة قادمة من العنف العبثي في مشروع للانتقام من أحداث وحكايات في الماضي القريب والبعيد. فما إن يخرج «الأجنبي» من العراق حتى تبرز وجوه جديدة مقنعة تمارس «البطولة» ببطش وقلة مروءة ضد أهلها وضد نفسها. قالت السيدة الأجنبية جملة استفزتني كثيراً، لكنه ذلك الاستفزاز الذي نحتاجه من وقت لآخر كي نعيد التفكير بواقعنا وأنفسنا. كانت تقول إن قوات الأمن العراقية ستتعامل بصرامة مع مثيري

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

العنف بعد خروج القوات الأمريكية من العراق. ثم أضافت «للأسف فمعنى أن تقتل قوات الأمن في دولة عربية مواطنيها غير معناه عندنا في الغرب». في الغرب، إن قتلت قوات الأمن أحد مواطنيها قامت الدنيا ولم تقعد. تحقيق بعد تحقيق. استقالات واسعة في الجهاز الأمني. واستجوابات في البرلمانات قد تطيح برؤوس كبيرة في أجهزتها الأمنية. لكن الفكرة الأخطر في هذا التحليل هي في صوابها. العربي جريء جداً ودموي جداً و«شجاع» جداً في بطشه بأخيه العربي. ولك أن تسأل: كيف هو العربي بمواجهته للعدو الأجنبي؟

في تراثنا العربي قصص مخيفة لبطش العربي بأخيه العربي حتى من قبل داحس والغبراء. شعراء القبائل العربية إلى يومنا هذا يتغنون بأمجاد قبائلهم وانتصاراتها. ولك أن تسأل -أيضاً- أي أمجاد وأي انتصارات؟ هل في غزو قبيلة عربية قبيلة عربية أخرى مجد وشرف؟ هل النهب والسلب شجاعة وفروسية؟ صحيح: ربما كانت تلك هي ثقافة المرحلة ليس فقط بين القبائل العربية، ولكن بين كل قبائل الدنيا. ولست هنا بصدد محاكمة تاريخية لثقافة العنف العربي وجذورها. القضية هنا أننا -وحتى في ظل عهد العولمة الكاسح- لا نزال أسرى لزمن غير زماننا. العولمة تعيش بيننا لكننا -في تفكيرنا- ما زلنا نعيش في عصر القبائل المتحاربة المتناحرة. نعيش على هامش العصر ولم ندخل

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

عصرنا بعد. وتعاملنا مع العالم الجديد ما زال سطحياً وهامشياً ومادياً، بدليل أن إسهامنا اليوم في معطيات الثقافة المعاصرة والحضارة الراهنة يكاد يكون صفراً. إننا ما زلنا نعيش مع أنفسنا وليس مع العالم. فَخر العربي ومجده ما زال مرتبطاً بحروبه مع أخيه العربي وجاره العربي. والصراع السياسي العربي - العربي اليوم هو امتداد، بأشكال مختلفة، لصراع القبيلة العربية مع جارتها العربية على المرعى وبئر الماء وناقة سرقها غزاة تسميهم القبيلة وقتها بـ«الفرسان! وموت العربي وحياته، منذ القدم، أن يسيء عربي آخر لمكانته وسمعته من دون الانتقام أو الأخذ بالثأر، أمّا إن انتُهكت كرامته ومكانته من قبل «الأجنبي» ففجأة تظهر قائمة طويلة من الأعذار والتبريرات، وهنا تتجلى مفاهيم «التسامح» ولغته مع الآخر وليس بين العربي وأخيه العربي! هل من حاجة إلى مزيد من الشواهد على قسوة العرب وبطشهم ضد بعضهم البعض؟ أليس من المخجل أن يستمر هذا النزق الدموي بين الفصائل الفلسطينية في وقت بدأ العالم كله، بدءاً من واشنطن، يحترم ويعترف بالحق الفلسطيني بدولة مستقلة لعلها تنهي بعضاً من العناء الفلسطيني؟ ألم نشهد صورة مخيفة للجهل والعنف العربي في الشوارع الفلسطينية واللبنانية والعراقية وقبلها الجزائرية، في مذابح عربية عربية يخجل منها العدو قبل الصديق؟ أليس من الموت أن تبدأ فصائل عراقية «نائمة» بحد

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

السيوف والخناجر انتظاراً لخروج «الأجنبي» كي تبدأ في سفك الدم العراقي تحت شعارات «التحرير» و«رد الكرامة»؟

المؤلم المحزن في هذا المشهد هو تلك الحقيقة التي يتحاشى كثُر منا الاعتراف بها ومواجهتها وهي أن «قيمة» الإنسان و«معنى» الحياة عندنا ما زالت مرتبطة بثقافة الغزو والنهب والسلب يوم كان عالم الإنسان العربي محصوراً في محيطه الجغرافي الصغير وكأن العرب –وقتها– هم كل العالم و كل الناس. اكتشفنا أخيراً أننا لسنا وحدنا من يعيش في هذا الكون، وأن هناك عالماً أوسع من عالمنا لكننا –في ما يبدو– عجزنا عملياً عن الخروج من دوائرنا الضيقة إلى فسحة العالم الجديد بثقافاته المتنوعة وقيمه الإنسانة المشتركة. إنه تحد كبير أن ندخل إلى روح العصر الجديد وعقله وثقافته بدلاً من الاكتفاء فقط بشراء منتجاته المعاصرة وتوظيفها لخدمة أفكارنا القديمة بما فيها من كره لبعضنا البعض، أو غطرسة يمارسها بعضنا ضد بعضنا، أو منافسات واستعراض مراهق ونظرة فوقية وأخرى دونية يمارسها العرب ضد بعضهم البعض كل صيف في عواصم السياحة العربية والأوروبية، مما يشرح كيف أن العربي اليوم يمر عبر العصر الحديث لكنه لا يعيش روح العصر ولا فكره.

في طريق العودة إلى البيت، تجولت بين أكثر من إذاعة عربية ولم يسترع انتباهي سوى سؤال من مستمع عربي يسأل

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

بانفعال «لماذا هذه الضجة حول موت مايكل جاكسون؟ ماذا قدم جاكسون إلى الحضارة الإنسانية حتى تكون هذه الضجة لموته؟»

كم تمنيت أن نسأل: أي إسهام عربي اليوم للحضارة الإنسانية؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

صراع القيم في العالم العربي!

2009/07/29

في أغلب الحوارات العربية ذات العلاقة بالشأن الاجتماعي صورة لحالة من «صراع القيم» وفوضى في الرؤية والفهم مع حالة معتادة تجاه القادم والجديد. وتلك واحدة من ملامح المرحلة الانتقالية التي تعيشها المجتمعات العربية اليوم في ظل عصر جديد فرضت خلاله وعبره وسائل الاتصال الحديثة أشكالاً متعددة -بعضها أقرب إلى الانقلاب بالمفاهيم- من الفوضى والتردد والتيه! هذا المشهد على ما فيه من تجارب مؤلمة (من مثل تنامي حوادث العنف) يأتي كواحدة من صور عزل المجتمع عن حقائق وظروف عصره، ما يعمق حالة الشتات في الرؤية والخوف من المستقبل. ولهذا يمكن لمراقب المشهد الاجتماعي في بعض المناطق العربية ملاحظة كثير من صور التطرف والفوضى في الرؤية والفهم في كل الاتجاهات. وهنا بعض الأمثلة:

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ثمة من يفهم فكرة «الانفتاح» كما لو أنها حالة من المجون وقلّة الأدب والانفلات من القيم الإنسانية (من مصادرها الديني والثقافي والإنساني). من هذه الفئة أناس يتخذون بعض الأفلام الأمريكية –مثلاً– مرجعية لمفهوم الانفتاح –الخطأ- الذي يعتقدون به. بينما حقيقة المجتمع الأمريكي في غالبيته مجتمع محافظ ومتدين ولديه قوانين صارمة ضد بث مشاهد العنف والانحلال خارج التنظيم الذي يحدد بدقة مواعيد البث وطريقة الاشتراك وأعمار المشاهدين. ولهذا تكون «الحرية» المقدّسة في الوعي الاجتماعي في سياق قانوني صارم يحترم معتقدات الناس وقناعاتها وذائقتها. ووفقاً لهذا المفهوم لا يمكن أن تكون «الحرية الشخصية» على حساب قيم وأذواق وقناعات الآخرين. المحزن أن ما يبث في كثير من الفضائيات العربية، وفي وضح النهار، قد يكون في دائرة «الممنوع» الذي يعاقب عليه القانون في بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية. إذاً إذا كانت «المرجعية» لبعض دعاة ما يسمونه جهلاً بـ«الانفتاح» هي مشاهد معينة تنتجها السينما والبرامج التلفزيونية الأمريكية، فتلك كارثة لأن قطاعاً عريضاً داخل المجتمع الأمريكي نفسه ينظر إلى ذلك المنتج السينمائي والتلفزيوني كمنتج ترفيهي ليس إلا، ولا يؤخذ مأخذ الجد إلا في دوائر ضيقة جداً تنتمي عادة إلى ما يسمى بـ«المجتمع السفلي»، وفي دائرة الممنوع الذي يحرمه القانون ويعاقب عليه.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ثمة أمثلة كثيرة على أن «الانفتاح» الثقافي والاجتماعي، وفهم حقائق التغيير في الكون كله، لا تعني إطلاقاً خروجاً على قيم إنسانية تكاد تكون عالمية مثل الصدق والوفاء والانضباط في العمل واحترام ثقة الآخرين والفخر بالتراث المحلي وفهم منتج «الآخر» الثقافي والحرص على العائلة ورفض «قلة الأدب» في السلوك والمعاملة. هكذا تميزت اليابان –على سبيل المثال– صناعياً من دون المساس بجوهر ثقافتها الاجتماعية، بل إن كثيراً من شركاتها استثمرت قيماً أساسية في الثقافة اليابانية لمزيد من الإصرار على المنافسة والنجاح. وفي المجتمع العربي أفراد منفتحون على العالم بوعي بنّاء لم يتجاوز حدود القيم والأخلاق الإنسانية المشتركة في تعاملهم مع المختلف فكرياً ودينياً واجتماعياً.

حالة الفوضى في القيم والمفاهيم التي تعيشها قطاعات واسعة في العالم العربي اليوم لا تقتصر على تلك الفئة التي تفرغ مفهوم الانفتاح من قيمه ومبادئه الأخلاقية في الرؤية والسلوك. في مقابل تلك الفئة فئات أخرى تفهم أن الارتباط بعادات وتقاليد المجتمع يكون بالردة المتسرعة للقبيلة من دون استيعاب حقيقي لقيم ومبادئ حددت وأسست لثقافة القبيلة العربية قبل نشوء الدول الحديثة في المنطقة. ومثلما أن الفضائيات –في الغالب– هي مرجعية بعض من يعتقدون بـ«الانفتاح» بناءً على فهم طفولي

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ومضلل بقيم الانفتاح ومعانيه، نشأت حديثاً فضائيات عربية تقدم ثقافة القبيلة القديمة بطرق ربما تعارضت كثيراً مع القيم الحقيقية للقبيلة في مرحلة مختلفة حكمتها ظروف وأحداث مختلفة عما يجري اليوم. ولهذا لا تستغرب أن تسمع من بعض الآباء والأجداد من يخبرك أن ما يعرض في كثير من الفضائيات المتخصصة في الشعر والتراث يسيء لثقافة القبيلة في الماضي ويختزل القبيلة، بتاريخها وظروفها المعقدة، في مشاهد أقرب ما تكون للتندر والتسلية. هل أصبحت تلك الفضائيات «مرجعية» أولئك الهاربين من حقائق اليوم إلى القبيلة وعاداتها وقيمها المزيفة في برامج تلك الفضائيات وأمسياتها الشعرية؟

لا نضيف جديداً حينما نردد ما قيل كثيراً خلال السنوات القليلة الماضية بأن بعض من يتصدى للفتوى أو يمارس العنف باسم الدين يستقي «مرجعيته» الدينية من مصادر خاطئة ومضللة. إذاً نحن هنا أمام حالة جهل بـ«المرجعيات» الأصلية الحقيقية للمفاهيم والقيم والمبادئ التي تنظم أو توجه سلوك البعض في مجتمعاتنا فلا مدّعي «الانفتاح» يفهم معنى «الانفتاح»، ولا العائد لـ«القبيلة» يفهم تاريخ وظروف القبيلة في السابق القريب، ولا البعض ممن يخلط بين «التدين» و«التزمت» يفهم المعاني الحقيقية للدين وأحكام الشريعة ومبادئها. في المحصلة، تنشأ حالة من الصدام بين القيم والمفاهيم تشكل

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أرضية مهزوزة يستند إليها البعض في سلوكهم وتعاملهم مع الأفراد والأحداث، وفي نظرتهم إلى أنفسهم والعالم المتغير بسرعة من حولهم. ولفوضى القيم -غير الخلاقة- فصول أخرى لم تبدأ بعد!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

اليمن:
ما قبل الحوثية وما بعدها!

2009/12/02

في ظل الراهن الاقتصادي والسياسي في اليمن، تظل كل الاحتمالات مُتاحة عند الحديث عن مستقبل الحوثية. هل ستكون الحوثية مجرد حركة عابرة استغلت في لعبة سياسية موقتة وانتهت بنهاية الحاجة إليها؟ أم أن السحر سينقلب على الساحر فتستثمر الحركة في وهن الدولة اليمنية وتُصبح هي الدولة؟ الاحتمال الثالث هو أن تبقى الحوثية، إلى أجل غير معلوم، وجعاً في قلب صنعاء وقلقاً مزعجاً لدول مجلس التعاون الخليجي حتى تنتهي الأسباب الداعمة لوجودها. في كل الأحوال، تبقى الحوثية واحدة من شواهد ضعف الدولة في اليمن ونتيجة من نتائج إهمال التنمية الاقتصادية والإنسانية في اليمن. لكن الحقيقة المهمة هي أن اليمن ليس وحده من يدفع ثمن فقره وتأخّره الاقتصادي وغياب هيبة الدولة فيه. دول الجزيرة العربية كلها ستدفع، بأشكال مختلفة، ثمناً للواقع

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

اليمني السيئ على أكثر من جبهة: قلاقل سياسية في صنعاء، حنق سياسي وشعور بالغبن ودعوات انفصالية في الجنوب، حرب مستعرة في صعدة ومناطق الشمال. أما على الصعيد التنموي فالصورة اليمنية تبدو أشد قتامة: يعيش نصف سكان اليمن اليوم تحت خط الفقر. معدّل النمو السكاني في اليمن يُعدّ واحداً من أعلى معدّلات النمو في العالم (أكثر من 3 في المئة سنوياً). الفساد الإداري والمالي ينخر مفاصل المؤسسات الحكومية. كل هذه الأخبار السيئة في اليمن أسست لبيئة خصبة ينمو فيها التطرّف والعنف والإرهاب. ولهذا فلا مكان للتفاؤل بأفول الحوثية - وما شابهها - في اليمن قبل الشروع في مشروع إصلاحي (سياسي وتنموي) شامل. ففي ظل الواقع السياسي والاقتصادي الراهن، يستطيع الحوثيون اليوم استقطاب جيش من شباب الأرياف في صعدة ومناطق الشمال لمقاتلة القوات اليمنية النظامية، أو للانضمام إلى فلول المتسللين نحو الحدود السعودية. إن التطرّف في اليمن تحديداً هو نتاج منظومة متكاملة من الفشل الاقتصادي والسياسي وتواطؤ الفقر مع الجهل مع البطالة مع التهميش الاجتماعي. ولعل الفقر –في الحالة اليمنية– يُعد من أبرز (إن لم يكن أبرز) أسباب تعلّق بعض الشباب اليمني بأي «بارقة أمل» نحو مستقبل مختلف يعدهم به الحوثي وغيره. كيف لا و40 في المئة من سكان اليمن (معظمهم في مناطق الريف) لا يستطيعون تلبية

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

احتياجاتهم الأساسية من الغذاء والدواء؟ إذاً فقر اليمن –من قبل الحوثي ومن بعده– ليس فقط مشكلة يمنية داخلية. إنه أيضاً مشكلة إقليمية ستدفع بسببه دول المنطقة أثماناً باهظة وليس ثمة بدٌ (ليس فقط من منطلقات أخلاقية) من التعامل مع مشكلة الفقر في اليمن باعتبارها مشكلة إقليمية من مصلحة دول مجلس التعاون الخليجي تحديداً أن تتعامل معها بجدية وسرعة. هناك وعود خليجية بمشاريع تنموية في اليمن تعطّلت لأسباب كثيرة، لعل أهمها خوف الدول المانحة من استغلال الأموال المرصودة لتلك المشاريع في عمليات فساد معروفة تستمر في ظل غياب المحاسبة والشفافية في اليمن. لا أحد يجادل الدول المانحة – خليجية أو غير خليجية– في ترددها من تحقيق وعود التنمية في اليمن بفعل الفساد المالي والإداري لدى الجهات المستفيدة. لكن الظرف (واحتمالات المستقبل المخيفة) في اليمن يفرض رؤية جديدة للتعامل مع التنمية في اليمن. ومن ضمن الحلول التي يمكن فرضها هنا أن تتولّى جهة دولية موثوقة تصريف ومتابعة المشروعات التنموية التي تمولها الدول المانحة مع ضغط دولي على المؤسسات الرسمية في اليمن لكف يدها عن أموال المشاريع التنموية التي يفترض أن تسهم أوّلاً في تنمية الإنسان اليمني. يمكن أيضاً التعاون مع الأصوات والمؤسسات اليمنية الوطنية (غير الحكومية) لدعم مشاريع التنمية في اليمن تلك التي تُعنى

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

بالتعليم والصحة والطرق والخدمات عموماً. لا بد من تضافر الجهود (عربياً ودولياً) لإيجاد حلول عاجلة لمشكلة البطالة في اليمن سواء من خلال إيجاد فرص عمل داخلية، أو استيعاب بعض العمالة اليمنية الجيدة في أسواق دول الخليج وغيرها. ولن يعجز المعنيون بقضايا التنمية في المنطقة عن تقديم قائمة طويلة من الحلول المقترحة لمواجهة «المشكل التنموي» في اليمن. إن من الأهمية هنا التذكير بحقيقة أثبتتها عمليات التسلل الحوثية ضد الحدود السعودية وهي أن مشكلات الداخل اليمني لن تبقى مشاكل يمنية داخلية بل ستتأثر بها مباشرة دول مجلس التعاون. فحينما اشتد الفقر بالصوماليين والإريتريين في بلادهم، قبل سنوات قليلة، نزحوا بالآلاف إلى اليمن على الرغم من فقر اليمن وسوء الحال به. وللسبب نفسه تعرّضت الحدود السعودية المحاذية لليمن على مدى سنوات -من قبل وصول الحوثيين هناك- لحملات تسلل يمنية دافعها الفقر وضيق اليد. فقر اليمن اليوم مشكلة أخلاقية وسياسية وأمنية تتجاوز اليمن إلى دول المنطقة كلها. هذه الحقيقة تفرض على دول مجلس التعاون تحديداً البحث بجدية وآنية في مشكلات التنمية في اليمن قبل أن تستفحل المشاكل وتصبح دول المجلس كلها وسط النار!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الفساد: رأس الفتنة!

2009/12/16

مثلما أن الإرهاب يهدد أمن الدول ويقوّض من «هيبة» النظام، ويربك السلم الاجتماعي فكذلك يفعل الفساد وأكثر. وكما أن الإرهاب يثير رعب المستثمر ويدفعه إلى الهرب برأسماله إلى مكان أكثر استقراراً وأمناً، فكذلك يفعل الفساد وأسوأ. ولأن واحدة من أدوات مكافحة الإرهاب المهمة هي تجفيف منابعه، فكذلك هي الحال مع الفساد، إذ لا بد من «تجفيف منابع الفساد» إن أرادت الدولة -أي دولة- أن تحقق استقراراً ونمواً وثقة في مستقبلها واقتصادها. ومواجهة الفساد بشفافية وصدق تكسب الدول احتراماً في الداخل والخارج! هذه بدهيات في التعامل المسؤول مع الفساد. وهكذا من الضروري أن تصبح المواجهة مع الفساد -كما هي الحال مع الإرهاب- أولوية أساسية من أولويات التنمية في العالم العربي. والمواجهة هنا تبدأ بخطوة أساسية وهي الاعتراف بالفساد وإعلان الحرب عليه. من هنا كان التفاعل قوياً وإيجابياً في السعودية مع خطاب الملك عبدالله بن عبدالعزيز في أعقاب

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

كارثة السيول في محافظة جدة، التي أودت بحياة 120 شخصاً (بحسب آخر الإحصاءات)، وأهدرت ما يقدّر بالمليارات من بيوت وممتلكات. واحدة من نقاط القوة في خطاب الملك هي التأكيد على أن مستوى الأمطار في جدة لم يكن بمستوى «الكارثية» لكي يبحث المرء عن أعذار للجهات التنفيذية في ما وقع من مصائب! أي سيول تلك التي تؤدي إلى مثل هذا الموت والدمار الذي شهدته جدة قبل أسابيع؟ هكذا كان وما زال منطقياً –بل من المسؤولية– أن يتساءل الناس: من المسؤول عن هذا الدمار، وعن هذا الموت، وعن تلك «الفضيحة» التي شهدتها ثاني أكبر مدينة سعودية؟ ولهذا يحسب للملك عبدالله صراحته في تعبيره عن خيبة أمله في كثير من الأجهزة التنفيذية التي ربما تسبب إهمال بعضها في وقوع مثل هذه الكارثة في دولة غنية وقوية مثل بلاده. لقد أعجب السعوديون بأمر الملك عبدالله –الموجّه إلى لجنة التحقيق وتقصّي الحقائق التي شكلها الملك للتحقيق في كارثة سيول جدة– الذي شدد على أن من واجبات اللجنة «استدعاء أي شخص أو مسؤول كائناً من كان بطلب إفادته أو مساءلته عند الاقتضاء». فحينما يستشري الفساد ويعم تصبح حياة الناس وكرامتها آخر هم لدى الموظف الفاسد أو غير المؤهل في عمله. فثنائية «الفساد وغياب التأهيل» تُعدّ من أبرز آفات التنمية في عالمنا العربي، ما يقود في النهاية إلى الخراب. انظر إلى تقارير الفساد التي تصدرها مؤسسات

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

دولية محترمة كي ترى أن دولنا العربية تأخذ موقع الصدارة في تلك التقارير. إقرأ تقارير الشفافية والإفصاح العالمية لتعرف أن دولنا العربية تأتي في آخر قوائم الشفافية والإفصاح على مستوى العالم. إذاً لمصلحة من يتمادى الفساد في توريطنا في أزمات مالية وكوارث إنسانية مخيفة، ولمصلحة من يدير بعض الجهلة وغير المؤهلين عدداً من مؤسسات الوطن الحيوية؟ وكيف ولماذا نسكت عمن يقوده الجشع والجهل لتقديم مصلحته الخاصة على مصلحة الوطن؟ أليس في استشراء الفساد ما يقود لكوارث قد تمتد لتطال البيت كله؟ هذه أسئلة مهمة يحسب للملك السعودي النبيل أن خطابه المهم قد شرّع كل الأبواب لطرحها، وهي أسئلة مشروعة تستحق أن تُسأل اليوم في كل بلد عربي. فزعيم إصلاحي له مكانته الكبيرة في قلوب مواطنيه لن يسمح للفساد أن يقوّض من مكانة الدولة، أو أن يقود إلى مزيد من الكوارث. وهي -أيضاً- من واجبات المواطنة الحقة أن يلتف الناس، كل وقدرته، حول مثل هذه الوقفة لمحاربة الفساد بكل أشكاله كي تتحقق التنمية المرجوة وكي يرتدع الفسدة وبطانتهم. تقول أمثالنا العريقة الكثير: فمن أمن العقوبة ساء الأدب. وتعلمنا التجارب القديمة والحديثة أن من يتجرأ على سرقة الألف لن يرتدع عن سرقة المليون. وفي زمننا المعاصر، إن لم توجد الأنظمة والقوانين الرادعة، مدعومة بالشفافية والإفصاح، وفي ظل «دولة المؤسسات» الحقيقية التي

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تؤصل الرقابة وتطبق الأنظمة، سيضرب الفساد بمخالبه كل بادرة أمل في تنمية حقيقية وربما أسقط الخيمة على رأس الجميع. وإن لم تكن «كارثة جدة» هي الكارثة التي يجب أن تحفزنا على قطع رأس الفتنة قبل أن تشتعل فهل نأمل أن تكون «صافرة الإنذار» التي تنبه لما هو أخطر؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الأتراك الجدد
على أبواب العرب

2010-06-09

يقول لي صديقنا الدكتور طارق يوسف، عميد كلية دبي للإدارة الحكومية، إن تركيا نجحت بأن تغير انطباعات العرب السيئة عنها، التي حملها العرب معهم لقرن من الزمان فقط في ثلاث سنوات!

كيف نجح «حزب العدالة والتنمية» التركي في ثلاث سنوات بقلب معادلة العلاقات المتوترة مع العرب منذ ما يقارب المئة سنة؟

بغض النظر عما يقال كثيراً عن العرب من أنهم «عاطفيون»، يستطيع أي سياسي في العالم أن يكسب ودّهم بخطبة واحدة يشتم فيها إسرائيل وأمريكا، إلا أن الوقائع تؤكد أن أتراك اليوم يملكون أجندة سياسية ذكية سيفتحون بها أبواب العرب المغلقة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

منذ عقود، والكاسب الأكبر هنا هو الاقتصاد التركي والموقف السياسي التركي!

وفي كل الحالات، ما الذي سيخسره العرب من صعود نجم تركيا إقليمياً ودولياً؟

الشعوب العربية – كما يبدو من الأحداث الأخيرة – بدأت تفقد ثقتها بوجود «قوة» سياسية عربية تحافظ على الحد الأدنى من «الكرامة السياسية» للعرب بعد أن خسرت تماماً كرامتها العسكرية أمام إسرائيل والعالم.

إذاً، لماذا يستكثر البعض على متظاهرين عرب حمل الأعلام التركية في عواصم عربية كان من المتوقع أن تقود هي نفسها زمام المواجهة «السياسية» مع إسرائيل ومساندیها؟

الحقيقة المهمة هنا هي أن تركيا فعلاً تتغير. وكانت المفاجأة أن حزباً محسوباً على «الإسلاميين» يقود هذا التغيير الإيجابي في تركيا بما فيه من انفتاح ذكي على العالم، وبخطاب جديد متصالح مع ذاته ومتسامح مع الآخر.

ولعل أبرز أسباب المفاجأة بأن يقود «الإسلاميون» هذا التوجّه الإصلاحي في تركيا يأتي نتيجة انطباع شامل عن الإسلاميين الذين يمارسون العمل السياسي، ما شكل صورة سلبية

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

عن تصور الإسلاميين كإقصائيين وذوي أجندات نفعية تستخدم الديمقراطية فقط كطريق تصل بها إلى السلطة، وبعد أن تتمكن تنقلب على الطريقة التي أوصلتها إلى الحكم، ثم تبدأ بتصفية القوى المنافسة، أو تلك التي يُمكن أن تنافسها مستقبلاً!

تلك صورة تأصلت في انطباعات العالم عن «الإسلام السياسي»، لكن الغائب هنا أن تلك الصورة هي حقيقة سياسية ذات روح ونكهة عربية، أي إنها لصيقة بالإسلاميين في العالم العربي بالدرجة الأولى. لكن الغائب في مثل هذا التحليل هو أن صفة النفعية السياسية وعقلية الإقصاء الفكري هي للأسف صفات عربية تنطبق على أغلب المنشغلين بالسياسة في العالم العربي، سواء كانوا مصنفين في اليسار أو في اليمين، إسلاميون أو علمانيون، وطنيون أو شيوعيون، عسكريون أو مدنيون. ولهذا تزداد الدهشة المفعمة بالإعجاب بهذه الحركة التركية الجديدة التي شكلّت توجهاً جديداً للأتراك في المنطقة وخارجها، وبدأت تكسب تأييداً داخلياً متصاعداً حتى من العلمانيين أنفسهم داخل تركيا.

إن تركيا كانت إلى وقت قريب عملاقاً نائماً استطاع الحزب الحاكم حالياً أن يوقظه من نومته، وأن يجيد توجيه مساراته، فشرع بفتح أبواب جديدة مع العالمين الإسلامي والعربي، وبدأ

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

–وهذا الأهم– بإقناع الداخل التركي بوجاهة مشروعه على كل المستويات، وعلى رأسها الاقتصادي.

تشير ملامح هذا التوجه التركي الجديد نحو المنطقة والعالم اليوم إلى أنه سيجعل من تركيا لاعباً قوياً في حراك المنطقة كلها، ليس فقط لأن تركيا تملك أكبر اقتصاد في المنطقة، ولكن لأنها أيضاً لا تخشى من منافسة عربية حقيقية على الأدوار التي تباشرها اليوم في منطقة الشرق الأوسط، بالإضافة إلى «الواقعية» السياسية في تعاطيها مع إيران.

وإن نجحت أنقرة –وستفعل– في تحييد الموقف الإيراني تجاه الدور التركي الجديد في المنطقة، فستكون تركيا بلا منازع هي اللاعب الأول إقليمياً، وبالتالي ستكون البوابة الرئيسة لأي مبادرة أو حوار عالمي إزاء قضايا المنطقة.

وبقدر التقدير والإعجاب بعقلية وأداء رموز «حزب العدالة والتنمية» في الإدارة المحلية والتعاطي مع الخارج، إلا أن المراقب العربي لا بد من أن يخجل من هذا التراجع العربي المتواصل إزاء قضاياه الرئيسة. أم أن على العرب اليوم انتظار ما تقرره – نيابة عنهم– طهران وأنقرة وربما تل أبيب؟ أين الدور العربي في كل ما يحدث في المنطقة اليوم؟ متى ستستعيد عواصم القرار العربي الكُبرى مكانتها إزاء قضايا مهمة لدولها وأمتها؟ تلك أسئلة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

مكررة –على الأقل منذ عقد– وستتكرر كثيراً على مسامعنا خلال السنوات القليلة القادمة، لأن تركيا –كما يبدو اليوم– عازمة على أن تكون اللاعب الإقليمي الأول في تحديد أجندات المنطقة الاقتصادية والسياسية، ولكن –وتلك مسألة طبيعية– بما يخدم مصلحتها أوّلاً. وهكذا فليس أمام العرب اليوم سوى تحكيم العقل –وليس العواطف– في التعامل مع تركيا الجديدة بنظرة واقعية تخدم المصالح العربية، وتستثمر في الخطاب التركي الإيجابي تجاه العالم العربي.

وهنا أختم بمقطع كتبه الباحث المصري، مصطفى اللباد، في دراسته القيمة بعنوان «تركيا والدول العربية... شروط التعاون المثمر»، إذ شرح أن بروز الدور التركي من جديد كحقيقة جغرافية وتاريخية وعسكرية جاء «في لحظة تاريخية تعاني فيها الدول العربية في المشرق من مآزق بنيوية هي الأخطر منذ الاستقلال، وهو ما يخلق فراغاً كبيراً في المنطقة، تتقدم تركيا –موضوعياً– كي تشغله. وبسبب اختلال القدرات الواضح بين الطرفين، يبدو أن القراءة العربية للدور التركي الإقليمي في الشرق الأوسط تنطلق من أنه حقيقة واقعة لا يجب الوقوف أمامها، بل التعامل معها لتعظيم المكاسب منها».

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

عزيزي «المسؤول» العربي!

2010-12-16

عزيزي «المسؤول» العربي:

أرجو أن تتقبل برحابة صدر بعض التساؤلات العابرة من «مواطن عربي عابر»، راجياً منك ألا يذهب بك فكرك العميق إلى البعيد فتظن أنها - وأستغفر الله من كل إثم عظيم- شك في نزاهتك وأمانتك ووطنيتك!

عزيزي «المسؤول» العربي:

أعرف جيداً أنك تسافر كثيراً إلى أمريكا وأوروبا واليابان وسنغافورة وماليزيا ودبي وغيرها، مرات في رحلات عمل ومرات مع العائلة الكريمة وغالباً في اليوم ذاته الذي تبدأ فيه إجازات مدارس الأبناء، حماهم الله من كل سوء. من هذه الأسفار الكثيرة أستأذنك أن أشاطرك بعض الأسئلة:

عزيزي «المسؤول» العربي:

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ألم تتوقف لحظة وأنت -مثلاً- تسير في الهايد بارك، فتستفزك «الحميّة الوطنية» لتسأل نفسك: ما الذي يمنع أن يكون في كل مدينة من مدن بلادي حدائق واسعة ولو بربع مساحة الهايد بارك؟ ألا يفرح من في مكانتكم أن يجد الناس في بلاده حدائق عامة تجمّل المدينة وتلطف جوها وتمنح الناس فيها فرصة للرياضة، وتقلل من أمراض القلب والاكتئاب والسمنة الزائدة؟

طيب، لنفرض أنك، يا عزيزي «المسؤول» العربي، لا تجد الوقت للتفكير بصحة مواطنيك، أو في شكل مدينتك. أنت نفسك، ألا يسرك أن تسكن في مدينة تُجملها الحدائق العامة وتجد فيها فرصة للترفيه عن نفسك وعن عائلتك، بخاصة أن من في مثل موقعك مزحوم بهموم الوظيفة وعلاقاتها ومشكلاتها؟

عزيزي «المسؤول» العربي:

وبما أنك كثير الأسفار، ألم تحرّك فيك ساكناً تلك المطارات الأنيقة والمرتبة أجمل ترتيب وبأنظمة حديثة لا تسمح بتكدس المسافرين في طوابير طويلة، ولا تصيب المرء المتعافي السليم بأمراض الربو وإنفلونزات البقر والدجاج والخنازير؟ ألم تسأل نفسك، عزيزي «المسؤول» العربي، السؤال نفسه الذي يسأله الملايين من مواطنيك: لماذا مطاراتهم، في الشرق والغرب، نظيفة منظمة أنيقة ومطاراتنا تعيسة كئيبة مكركبة؟ ألم تلاحظ،

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

عزيزي «المسؤول» العربي، أن تلك المطارات الكثيرة، خارج وطنك، قليلاً ما يتوقف فيها سلم كهربائي، وفيها من الأسواق الحرة الكبيرة والمطاعم والمقاهي الجميلة ما يفتح نفس مسافر مثلك للتسوق وقضاء وقت ممتع حتى آخر دقيقة؟ ألم تسأل نفسك لماذا يحزن أمثالك وهم يغادرون تلك المطارات الراقية، فيما الآلاف من مواطنيك يعدّون الدقائق لهفة بموعد الإقلاع من مطارات بلادهم وبعضهم يدعو الله ألا يسامح من كان السبب لا في الدنيا ولا في الآخرة؟

عزيزي «المسؤول» العربي:

أعرف أنك -مثل ملايين البشر- تمرض أحياناً وتحتاج إلى أن تذهب إلى المستشفى، عافانا الله وإياك، ولكن وبما أن موقعك الوظيفي -اللهم لا حسد- يؤهلك أن تتعالج أنت وأفراد أسرتك في أرقى المستشفيات العالمية، ألم تسأل نفسك لماذا مستشفياتهم واسعة ونظيفة ومجهزة بأحدث التقنيات وفيها خيرة العقول من إداريين وأطباء وممرضين، فيما كثير من مستشفياتنا تدار بعقود ظالمة من الباطن، وقد عشعشت فيها الدبابير، وتكاثرت بين أروقتها الفئران، وينسى الطبيب أحياناً مقصاته في أحشاء مرضاه؟

عزيزي «المسؤول» العربي:

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أدرك أنك ربما سألت نفسك، أو من حولك، وأنت تقرأ مقالتي هذه – وأعرف أنك ستقرأه اليوم أو غداً أو بعد أسبوع: كيف لكاتب هذه المقالة أن يقارن بيننا وبين من سبقونا بعشرات السنين وستبدع -كعادتك- في رصد الفوارق بيننا وبينهم، كما لو أننا من زحل وهم من المريخ! ولكن، يا عزيزي «المسؤول» العربي، ما رأيك لو ننسى قليلاً من سبقونا بعشرات السنين ولنتفكر قليلاً فيمن بدأ بعدنا بعشرات السنين ونجري المقارنة!

عزيزي «المسؤول» العربي:

لا تقل لي إنك لا تزور مدنا عربية ناشئة مثل دبي والدوحة وأبو ظبي. ولا تقل لي إن أطفالك –رعاهم الله– لا يلحون عليك بالسفر إلى دبي والاستمتاع بأسواقها ومكتباتها وحدائقها ودور السينما في أرجائها. ولا تقل لي إنك أنت نفسك لا تفرح بأي فرصة تأتي بك إلى الدوحة أو دبي أو أبو ظبي: بالله عليك، عزيزي «المسؤول» العربي، ألم تحركك قصص النجاح تلك، وهي في محيطك وقريبة من ظروفك، لأن تسأل: ما الذي يمنع أن يكون عندي، من الأنظمة والخدمات والحدائق والطرقات والقطارات والمطارات والطائرات والمدارس وصدق النيات، مثلما عندهم؟

عزيزي «المسؤول» العربي:

معقول؟! ألا يثير فيك ما رصدته أعلاه من أمثلة –وهي قليل من كثير- حميّتك وغيرتك، ناهيك عن وطنيتك ومسؤوليتك، أن

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تسأل نفسك: لماذا هم وليس نحن؟ وكيف تقدَّموا وتأخرنا؟ ولماذا يعملون بإخلاص ونحن بفساد وكذب ونفاق؟

عزيزي «المسؤول» العربي:

أعرف أنك لا ترى في بلادك ما يراه الملايين من أهل بلدك، وأدرك أنك لا تعيش مثلما يعيشون، وأنك لا تسافر كما يسافرون. وأعلم أنك، أعانك الله، مشغول جداً بأعمال خاصة، داخل البلاد وخارجها، ومشغول بالتفكير في أسفارك وأسفار العائلة، لكن المشكلة الكبرى أن الملايين من مواطني بلادك لا يستطيعون العيش مثلما تعيش أنت، ولا يملكون من المال والسلطة والجاه ما لديك. ولذلك رجوتك بالله القوي العظيم الحكيم أن تفكر، بوطنية ومسؤولية، وأنت تجوب الدنيا شرقاً وغرباً، في أحوال أناسك الطيبين، وفي «الحالة» البائسة التي وصلت إليها بلادك، وحينما تفعل، عزيزي «المسؤول» العربي، صدّقني ستكون من أول الرابحين!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

عزيزي «المسؤول» العربي (2)

2010-12-23

عزيزي «المسؤول» العربي:

بعد رسالتي التي وجهتها إليك الأسبوع الماضي، تلقيت رسائل كثيرة من قرّائي، وهم قبيلتي الجديدة، محملة بمزيد من الأسئلة الموجهة إليك.

أعرف أنك مشغول جداً بهمومك العليا ومصالحك وأسفارك وترتيبات مستقبل الأولاد وأسفارهم. وأدرك أنك قد لا تأبه لرسائلي مثلما لم تأبه لرسائل من قبلي. ولكنني احتراماً لرغبة الكثير من قرائي الأعزاء قررت أن أعاند عنادك فأكتب لك رسالة جديدة آملاً أن لا تنطبق عليك مقولة: لا حياة لمن تنادي!

عزيزي «المسؤول» العربي:

أعرف أنك متابع جيد لنشرات الأخبار العالمية، وتقرأ الصحافة الأجنبية في سفراتك الكثيرة. وأعلم أيضاً أنك تزور

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

برلمانات في دول شرقية وأخرى غربية. بربك، ألم تتأثر ولو قليلاً بمساحة النقاش الجاد في تلك البرلمانات وكيف أن الجهة التشريعية في تلك البلدان تمارس أدواراً مهمة في الرقابة والتأسيس للقوانين والتشريعات وضبط ميزانيات الدولة؟ كيف لم تسأل نفسك السؤال ذاته الذي يسأله الملايين من مواطنيك: متى تكون لدينا برلمانات حقيقية، تمثل طموحات الناس في التنمية والبناء والمراقبة؟ ومتى تختفي تلك المجالس الصورية المنتشرة في منطقتنا، التي لا يشبهها سوى جلسات الظهرية لشرب الشاهي وأكل «الفصفص»؟

عزيزي «المسؤول» العربي:

أعرف أنك قضيت سنوات للدراسة خارج بلادك، غالباً في الغرب، وأنت اليوم تتولّى منصباً مهماً يمس حياة الناس اليومية ومستقبلهم، ألم تسأل نفسك يوماً: ماذا تبقى معي من تجربة الدراسة والحياة في أحد بلدان العالم الأول؟ هل راحت كل تلك التجارب هباءً منثوراً؟ هل جئت بتجربتك الدراسية والحياتية معك إلى موقع العمل، أم تخليت عنها واندمجت تماماً مع «الواقع» بعلاته وإخفاقاته؟

عزيزي «المسؤول» العربي:

تعرف جيداً أن من في موقعك في البلاد التي تزورها كثيراً، في الغرب أو الشرق، جيّد الإنصات لقضايا الناس وهمومها،

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أفكارها ورؤاها، ما الذي يمنعك من أن تقلّد هؤلاء الذين تعجبك بلدانهم، فتنصت لمواطنيك مثلما ينصتون لمواطنيهم؟ طيّب، إن قلت إنك لا تستطيع تقليد الآخرين وإنك فخور بتراثك وتاريخك، لِم لا تستحضر واحدة من أجمل صور ماضيك القريب يوم كان جدك، شيخ القبيلة، يفتح مجلسه وقلبه لأهله، ينصت لهم ويتفهّم همومهم ويكسر كل حاجز بينه وبينهم؟ كيف كبر جدك الكريم في عيون ربعه وصار رمزهم وحبيبهم وصاحب الكلمة الأولى في شؤونهم؟ وإنك إن فعلت مثلما كان جدك فأنت ستكبر في عيون آلاف الناس حولك، وهكذا سيبقون طالما شعروا بقربك منهم وتواضعك معهم ومحبتك لهم. وسيبادلونك الحب حباً والتقدير تقديراً. هؤلاء الناس، يا عزيزي «المسؤول» العربي، هم امتداد نبيل لأجدادك الأشاوس الذين حاربوا وضحّوا وماتوا كي تقام عندنا كيانات تلم الشمل وتقيم العدل وتحقق الحلم.

عزيزي «المسؤول» العربي:

في غابر الأيام، وقد كنت شديد الهمة قوي العزيمة، كنت تكتب في صحافة وطنك منتقداً أحوال بلادك حتى قيل فيك: لا يعجبه العجب ولا الصيام في رجب. وكنت مؤمناً بدور الإعلام في النقد والتوجيه وتسليط الأضواء على مواقع الخلل. وكنت تقول إن الصحافة هي عين المجتمع على مواطن الفساد والخطأ.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

واليوم، وأنت في أحد مواقع المسؤولية في بلادك، يستفزك نقد صحافة بلادك وتزعجك مقالات من ينتقد أحوال جهازك وتتصل بالقائمين على إعلام بلادك غاضباً مهدداً بالفصل والطرد والإقالة. ما الذي غيّرك؟

عزيزي «المسؤول» العربي:

سمعتك يوماً تردد أن الناس تقف ضد التغيير وضد الإصلاح والانفتاح على العالم. وسمعتُك أيضاً تطالب الناس بما لا تفعله أنت. فلم لا تكون أنت «القدوة» للتغيير الذي تنشده و«الانفتاح» الذي تنادي به؟ وكيف تنتظر الناس أن تأخذ بما تنادي به وهم يرون فيك ومن في دائرتك نقيض ما تطالب به؟ وإني هنا أستأذنك يا عزيزي «المسؤول» العربي أن أذكّرك بأن العرب في الغالب على دين ملوكها. فإن شرَّقتم شرَّقنا، وإن غرَّبتم غرَّبنا!

عزيزي «المسؤول» العربي:

أقدّر فيك حرصك على تعليم أبنائك أفضل تعليم. وأدرك وعيك الكبير بأن التعليم الجيد هو مفتاح الحل. وأبهرني إلحاحك أن يتخرج أولادك من جامعات عالمية عريقة. وأنت شديد الإعجاب بجامعات مثل كامبريدج وأكسفورد وهارفرد وجورجتاون وكولومبيا وجون هابكنز. هل سألت نفسك يوماً، يا عزيزي «المسؤول» العربي، ما الذي ينقصنا كي يكون عندنا ولو جامعة واحدة بنصف إمكانات

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

واحدة من تلك الجامعات أعلاه؟ وكيف تستغرب أن ينخر التشدد الفكري وكل أوبئة التأخر الاقتصادي في عظم مشروعنا التنموي وكثير من جامعاتنا لا تخرج سوى رموز للوعظ وأشباه المؤهلين، وكثُر من أساتذتها منشغلون بالتكفير لا بالتفكير وبالإقصاء لا بالحوار؟ وإنك، يا عزيزي «المسؤول» العربي، لو طالبت لأولاد الناس بمثل ما تطالب به لأولادك، لرأيت جيلاً جديداً يعيش حياته بفرح وتطلّع وجرأة وثقة، جيلاً «واثق الخطوة يمشي ملكاً»!

عزيزي «المسؤول» العربي:

أناشدك بمحبة وصدق وإخلاص أن تستمع لهموم الملايين من أهلك الطيبين، وأن تخرج قليلاً من عالمك إلى عوالمهم ومن همومك إلى همومهم، ومن لغتك إلى لغتهم. وإن فعلت، ولو قليلاً، أعدك أن تبقى على رأس قائمة الرابحين!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

«الكريسماس» في مدننا... ما المشكلة؟

2010 /12/ 29

الرأي الذي قال به الشيخ قيس المبارك، عضو هيئة كبار العلماء في السعودية، الذي يُجيز قبول دعوة غير المسلمين إلى حضور أعيادهم، ثم أيّده الشيخ عبدالله بن بيه، نائب رئيس اتحاد علماء المسلمين، له أكثر من دلالة إيجابية.

لنبدأ من حقيقة قائمة ولا يمكننا تجاهلها أو التحايل عليها. نحن نعيش اليوم عصراً تداخلت فيه الثقافات والأفكار، وتقاطعت خلاله المصالح وقصرت المسافات. نحن جزء من هذا العالم متعدد الأديان والأفكار والثقافات والأعراق. هذه حقيقة، نحن جزء منها. ومثلما تضاء أشجار «الكريسماس» في أبوظبي ودبي والبحرين والدوحة وغيرها من مدننا العربية، تقام المآذن الكبرى في عواصم أوروبا ومدن أمريكا، ويحتفل البيت الأبيض وعواصم أوروبا سنوياً بدخول شهر رمضان وأعياد المسلمين. ومثلما يوجد

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

مسلمون في الغرب «المسيحي»، يوجد مسيحيون في الشرق. فما المشكلة؟

الحقيقة الثانية، أن الديانة المسيحية هي في الأصل جزء من تاريخ هذه المنطقة ومكوّن رئيس من المكوّنات الثقافية في العالم العربي، فمسيحيو العراق والشام ولبنان وفلسطين والأردن لم يأتوا من كوكب آخر. هم مثلنا، من أهل الأرض وصلبها، بل لا يمكن أن يُنسى فضل مسيحيي لبنان تحديداً في الحفاظ على اللغة العربية في زمن انحسارها أيام الهيمنة العثمانية على المنطقة.

أما البُعد الآخر - وهو بالتأكيد إيجابي ومفيد - في ما طرحه الشيخ المبارك، فهو أنه أثبت فعلاً جدوى التنوّع الفكري والمذهبي في الخطاب الديني الذي يطالب به العشرات من المثقفين في السعودية وخارجها. إلى ما قبل دخول الشيخ المبارك في عضوية هيئة كبار العلماء، كانت الهيئة محتكرة على مدرسة فقهية واحدة ومعتمدة على باب «سد الذرائع» الذي يُغلق كل الأبواب والنوافذ أمام الرأي المختلف. ورأي الشيخ المبارك في جواز قبول دعوة غير المسلمين إلى حضور أعيادهم، هو نموذج واحد لأهمية التنوّع بالرأي داخل مؤسسة دينية ما زالت مهمة. فالمبارك ينتمي للمذهب المالكي، وهو من أصغر أعضاء هيئة كبار العلماء سناً - إن لم يكن بالفعل أصغرهم سناً - ورجل يسافر ويقرأ الأحداث

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

بلغة العصر، ما يُعطي آراءه قبولاً لدى جيل الشباب المرتبط أصلاً بالعالم الجديد، عبر تقنيات الاتصال الحديثة ومن خلال الأسفار والتواصل مع العالم. ومن تجربته القصيرة في عضوية هيئة كبار العلماء، تبرز أهمية ضخ دماء جديدة ومختلفة في المؤسسات التي تُعنى تحديداً بالمسائل الفقهية والإفتاء.

الإسلام دين من مكامن عظمته هذا الغنى والتنوّع بالآراء والأفكار، والفسحة التي يمنحها للتكيف مع تطورات الزمن ومتغيرات الحياة. والانفتاح الواثق على العالم أصبح اليوم ضرورة للبقاء. إننا نؤذي شبابنا - ونسيء لديننا وثقافتنا - إن لم نُعلّمهم التسامح مع الأفكار والأديان والثقافات المختلفة. وإننا نزرع فيهم حالة من «الانفصام» في رؤيتهم الآخرين وتعاملهم مع حقائق زمنهم، إن طالبناهم بحمل لواء العداء ضد الآخر.

أيام الدراسة في أمريكا عرفت طلاباً من منطقتنا، من دول الخليج تحديداً، حائرين في كيفية التعاطي مع واقعهم الأمريكي» الجديد. لقد جاءوا إلى أمريكا وهم مشحونون بالحذر - إن لم يكن العداء - تجاه المجتمع الجديد. بعضهم كان متفوقاً بدراسته، لكن معرفته بالمجتمع الذي يعيش فيه لا تتجاوز المفاهيم النمطية عن ذلك المجتمع، التي تقرأها وتسمعها عادة في خطب بعض الوعّاظ وأشرطتهم وبرامجهم

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

التلفزيونية. وأذكر أن بعضاً من هؤلاء الوعّاظ كان يزور أمريكا ويلتقي بالطلاب العرب والمسلمين، محرّضاً إياهم ألا يبتسموا بوجه الأمريكان «الكفار»، وأن يُظهروا لهم الغلظة بالتعامل! وهكذا رأينا الآلاف من طلابنا العرب يذهبون إلى الدراسة في أمريكا بأجسادهم لا بعقولهم، فيعودون منها بأفكار هي ذاتها التي سمعوها، أو قرأوها في خطب وعظية ساذجة وجاهلة. كانت الجامعات الأمريكية تستجيب بأريحية مع طلبات الطلاب العرب والمسلمين، فتخصص قاعات تستخدم كمساجد وتسمح بتنظيم جمعيات وأندية للطلاب المسلمين، واستمر الحال هذا حتى بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. ولم يأت أحد من الأمريكان ليحذّر أمريكا من أن المسلمين سيؤسلمون أمريكا، أو أن الأذان سيُسكت أجراس الكنائس. هذا لا يلغي أبداً وجود أصوات نشاز -كما عندنا- تحرّض على العداء، وترفض التسامح مع الإسلام والمسلمين. وهذا لا يعني أن الطالب العربي والمسلم في أمريكا يعيش دائماً في عالم مثالي يخلو من أمراض العنصرية والمواقف المعادية. لكن الملاحظ أننا في العالم العربي كثيراً ما نُبالغ في ردات أفعالنا تجاه ما يقال عنا هناك، أو ضد بعض الخطوات البسيطة في منطقتنا الهادفة إلى التقريب بين الأديان والثقافات. فأن تُضاء الأنوار في أبو ظبي أو دبي خلال أعياد الميلاد، ليست «نهاية الإسلام»، وليست صورة من صور الغزو الثقافي، وإلا

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لكانت المآذن الشاهقة في أوروبا وأمريكا نهاية للمسيحية وغزواً ثقافياً إسلامياً كاسحاً!

نحن اليوم بأمسّ الحاجة إلى أصوات عاقلة تقدم العقل على العاطفة، وتخاطب شبابنا بلغة العصر وثقافته، لغة تقدّم إليه بديلا عقلانياً من ذلك الخطاب المتشدد الذي يحرّض على الكره والعداء والانعزال! من هنا نقف احتراماً وتقديراً لصوتين من أصوات التنوير الإسلامي، الشيخان الفاضلان قيس المبارك وعبدالله بن بَيَّه.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الكتابة في زمن الثورة

2011-01-26

ليس صحيحاً أن ثورة الشعب التونسي الأخيرة التي أطاحت بزين العابدين بن علي جاءت في وقت قصير لم يتجاوز الأسابيع. تلك كانت نتيجة أقرب إلى الحتمية لسنين طويلة من المشاعر المكبوتة ضد الظلم والإهانة والاستبداد، إنها حصيلة سنوات طويلة من القمع وبث الرعب وهيمنة الفساد، وهي النتيجة ذاتها التي تنبّأ بالوصول إليها أصحاب الرأي الناقد ودُعاة الإصلاح والتغيير الإيجابي في منطقتنا العربية إن استمرت الحكومات العربية في تجاهل مطالب شعوبها، ومهما بلغ ذكاء الإدارة السياسية في امتصاص غضب الجماهير وشراء الذمم والولاءات فلا بد من أن يأتي اليوم الذي يطغى فيه غضب الناس على خوفهم، فيحدث مثل الذي حدث في الشوارع التونسية، تلك عبرة من عِبَر التاريخ، وتلك نتيجة ستجعل من تكرارها تقنية العصر التي أسهمت في فضح أشكال الاستبداد وإخراج الناس من عزلتها وكسب التأييد من كل أرجاء الكون. إذاً ليس لنا -في العالم العربي- بدٌّ من التأمل

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

بالتجربة التونسية من أجل قراءة عملية وواقعية للمستقبل المليء بالمفاجآت وهو على الأبواب!

ثمة فرق بين نظام يعمل على إسعاد واحترام مواطنيه، ونظام يُمارس كل الدسائس والوسائل لظلم شعبه وقمعه، والنظام القوي -القوة الحقيقية وليست ذات الصبغة الأمنية التي تتهاوى أمام أي هزة- هو النظام المدعوم برضا الناس وقناعتها، ثمة قائد يحب شعبه فيحبه شعبه، وهذا النوع من القيادة ستجده محمياً بشعبه، فتجده أكثر قرباً من الناس وهمومها وشؤونها، فالقائد الذي يأمنه شعبه يأمن شعبه، والقائد الذي لا يأمنه شعبه تجده دوماً محصناً بسياج من الدبابات والطائرات وجيوش الحراسة، والنظام الذي لا يتعلم من دروس التاريخ سيبقى مخدوعاً بمقالات وخطابات التبجيل والخداع التي تمتلئ بها وسائل إعلامه ومساجده ومناسباته الكُبرى، هؤلاء الذين يمدحون اليوم كل صغيرة وكبيرة، ويبررون الظلم والكذب والفساد، هم أنفسهم أسرع من ينقلب على نفسه كي يبدأ بشتيمة من كان يَمدح بالأمس مع نقد قاس للماضي القريب وفضح أسراره.

الحقيقة أننا في العالم العربي اليوم، نخباً فكرية وسياسية، ومنظماتٍ أهلية ورسمية، مطالبون بوقفة صادقة مع النفس ومراجعة التجربة التونسية بكل شجاعة وصدق، وحينما نفعل

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

سنُدرِك أن أحد أبرز الدروس يكمن في إدراك حقيقة أساسية وهي: لا مفرّ من الإصلاح الحقيقي على كل الأصعدة، فاليوم غير الأمس، ومجتمعات اليوم مهما كانت شديدة الفقر أو محدودة الاطلاع باتت أكثر قرباً من التحوّلات الكُبرى التي يشهدها العالم اليوم، ومن أجل مصلحة الجميع، مجتمعات وقيادات سياسية، لا مفرَّ من فسح مجال حقيقي للنقد البنّاء الذي تتبنّاه وتضحّي من أجله أصوات وطنية تسعى إلى خير أوطانها، وتحترق من أجل بلدانها، ما أسهل صناعة الأعداء في عالمنا العربي! وما أسرع إنتاج «الأبطال» في بلداننا من أولئك الذين تحوّلهم الرقابة الرسمية والضيق من الرأي الناقد إلى رموز وطنية وهم آخر من يعلم! فالمؤسسة التي تضيق من نقد أبنائها تصنع منهم - بجهل وحماقة - أعداءً أو أبطالاً، والظرف اليوم يستدعي فعلاً نظرة عقلانية إلى ظروف الناس ومعاناتهم، وطموحاتهم وآمالهم، وإحباطاتهم وإخفاقاتهم، ويستدعي أيضاً نظرة شاملة في أساليب الإدارة وآلية التعاطي مع مطالب الناس وحقهم في المشاركة والتعبير والتفاؤل بمستقبل بلدانها وأجيالها القادمة.

إن الدرس التونسي، بكل تعقيداته وخفاياه، ما ظهر منها وما بطن، يحتاج منا جميعاً إلى وقفة تأمل صادقة، لكنه -وهنا الأهم- ينتظر منّا رؤية واضحة للتعاطي مع تعقيدات الوقت الراهن وتحديات المستقبل، وتقليل الفجوة المخيفة بين من يقرر

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ويملك تقريباً كل شيء، وبين من لا حول له ولا قوة ولا يملك سوى الفتات، يُعدُّ «مشروع بقاء» لكثير من الأنظمة العربية إن فهمتْ جيداً الدرس التونسي الأخير. وفي منطقتنا العربية توجد عشرات الأمثلة للقيادات التي تَجُرّ شعوبها وأوطانها إلى الحروب الأهلية والتصفيات الدموية والخراب العام، وفي المقابل لدينا أمثلة حية للقيادات التي تبني بلدانها وتحمي شعوبها وتحقق آمال وطموحات أبنائها، لدينا -عربياً- أمثلة حيّة للأنظمة التي تتمنّى شعوبها أن تطردها «في ليلة ظلماء» وقيادات ستكون شعوبها سياجها المنيع من أي تهديد وحزام أمانها القوي المتين.

حقاً، القائد الذي يأمنه شعبه يأمن شعبه، والقائد الذي يُحب شعبه يُحبّه شعبه!

ولكن يبقى السؤال: متى نتعلّم؟!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

في الإصلاح وثورة الغضب

2011-02-02

منذ أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001، كان هناك كثير من الأصوات الإصلاحية في العالم العربي تُذكّر بحقيقة أن الإصلاح الجاد سيكو ن بمصلحة الجميع، الأنظمة الحاكمة وشعوبها. لم تكن الدعوة إلى إصلاحات حقيقية حيلة من أجل الانقلاب على الحكومات. ولم تكن «حقاً أريد به باطل» لسحب البساط من تحت الحكومات كما كان يخشى بعض أصحاب الأفكار «المتخشبة» من السياسيين العرب. لا... أبداً. لم تكن كذلك. لقد كانت دعوات مخلصة من عقول كانت تُراقِب المشهد العام في العالم كله، وتدرك جيداً أن «الإدارة» بعقلية الأمس لن تقود إلا إلى مزيدٍ من التراجع. وكانت تقرأ الواقع بعيون تُشاهد بوضوح ما يجري في العالم من تحوّلات كُبرى لسنا ببعيدين عنها. ولم تكن الحاجة إلى إصلاح حقيقي مسألة معقّدة تحتاج إلى مراكز بحوث كي تكتشفها، لأن سوء الحال كان ولا يزال «سيد

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الموقف» في أكثر من بلد عربي. فالبطالة والفقر وسوء الإدارة وتردّي الخدمات والفلتان الأمني وتفشّي البيروقراطية واحتكار القرار وتجاهُل مطالب الناس وإهانة الأصوات الناقدة والاستهتار بهموم المجتمع أمراض كانت ولا تزال تنتشر -عياناً بياناً- في كثير من البلدان العربية.

لكن كثيراً من الأنظمة العربية رمى بتلك المطالب عرض الحائط. وبعضهم ركب «الموجة» -حيلةً- وبدأ ينافس موقتاً دُعاة الإصلاح في الحديث عن ضرورة الإصلاح، فقط للاستهلاك الإعلامي محليّاً ودوليّاً، أو لمداراة الخارج. وبعد أن خفّتْ حدّة النقد الخارجي، وقمعت أصوات المنادين بالتغيير الإيجابي، انتكس وعاد إلى حقيقته! فهذا المسؤول الذي تحدّث بالأمس القريب إلى الإعلام الأجنبي عن ضرورة الإصلاح في بلده يُكيل اليوم التُهم ضد دُعاة الإصلاح من عمالة للخارج وتأليب الخارج ضد الداخل ومحاولة زعزعة «الأمن والأمان» الذي تعيشه بلاده! وهكذا «عادت حليمة إلى عادتها القديمة»، لتصبح الدعوة إلى الإصلاح تُهمة سياسية ومبرراً للإقصاء، وربما مُدعاة للسجن!

تصنع بعض الأنظمة العربية أعداءها بنفسها. فمن حق الناس أن تكتب وتنتقدَ وتُطالبَ. لكن أن يُعامل كل صوت ناقد في المجتمع كما لو كان عدواً للنظام سيدفع المرء أن يصبح عدواً

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

حقيقياً للنظام! ماذا يضير لو استمعنا لمطالب الناس ونقد المثقفين ودعوات المصلحين؟ خذ قائمة المطالب الكبرى في أي بلد عربي وستجد أنها لا تتجاوز الحد الأدنى من المعقول. بل إن تحقيقها ربما كان الضامن الأساس للاستقرار السياسي والسلم الاجتماعي. فمجمل تلك المطالب لا يتجاوز كثيراً تحسين الوضع المعيشي للناس لضمان الحد الأدنى من الكرامة الإنسانية. أعرف مثقفين وأساتذة جامعات في بلد نفطي وشديد الثراء تقاعدوا -وبعضهم مات-- قبل أن يمتلكوا منزلاً يُؤويهم وأُسرهم. وأسمع عن قصص للرقابة والقمع يشيب بسببها الولدان، كأن يشك الرجل أن زوجته أو شقيقه مخبرٌ سري يُراقب أي كلمة عتب ضد النظام يقولها في لحظة انفعال! ونعرف أن ملايين البشر في العالم العربي تسكن إلى جوار الأموات في المقابر وقرب المزابل. ونُدرِك أن المواقع الإدارية المهمة في كثير من البلدان العربية تُعطى كمنحة إلى الأقارب -وهم غير مؤهلين- من أولاد العم والخال وأصدقاء الوالد والأعمام. ونسمع عن أناس دخلوا السجن وعُذّبوا فيه لسنوات من دون محاكمات عادلة ولأسباب «أمنية» خاوية. ونسمع يومياً في أغلب البلدان العربية عن قصص الفساد المالي والإداري المرعبة مما أوجد الفجوة العميقة بين قلة قليلة تملك تقريباً كل شيء وغالبية عُظمى تعيش على الكفاف. ونعرف جيداً أن الإنسان في كثير من بلداننا العربية يعامل كـ«مواطن» من

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الدرجة العاشرة في الوطن الذي وُلِد فيه، ووُلِد فيه أبوه وأمه وجده وجد جده! وبعد كل هذا، نستغرب لماذا تثور الشعوب؟ ونتساءل: لماذا تغضب الناس؟

ما يحدث اليوم من حِراك كبير في العالم العربي هو نتيجة طبيعية لوعي شبابي جديد متّسق مع التحولات الكبرى في العالم. نحن أمام جيل جديد يتوق إلى التغيير، ويتواصل بالثانية مع ظروف جيله في الشرق والغرب، لكنه يعيش «قيوداً» سياسية وتنموية في محيطه القريب. هذا الجيل ورث عمن قبله عقوداً من الغضب المتراكم الذي سرعان ما ينفجر مثل البركان الثائر ولا أحد يستطيع الوقوف بوجهه. هكذا هو المشهد العربي اليوم، شئنا أم أبينا. ولهذا تُصبح الدعوة -من جديد- إلى إصلاحات جوهرية حقيقية مسألة «حياة أو موت» للأنظمة العربية التي لم تنفجر بها «براكين الغضب» الشعبي بعد. ويأتي هذا الإصلاح المنشود عملياً لمصلحة الجميع ولحماية ما تحقق من مكتسبات تنموية وصمام أمان للمجتمعات من فوضى عارمة أو مستقبل مجهول.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

قراءة في الحدث!

23-02-2011

ليس من المستغرب ما يعيشه العالم العربي اليوم من تحوّلات كبيرة بدأت في تونس ثم مصر واليوم في ليبيا وغداً في مكان آخر. لكن المستغرب أن هذه الموجة، بما فيها من تعقيدات، تأخّرت انطلاقتها كثيراً في البلاد العربية. فمن غير المنطقي أن يبقى العرب وحدهم خارج التاريخ. ولا يُمكِن أن تبقى الأوضاع المتردّية في البلاد التي تعيش الآن عصر الثورة هي «سيّدة المشهد». وإذا كان الاستبداد قد ساد عربياً لعقود طويلة، تارة تحت شعارات الدين، وتارة أخرى تحت قبضة المستعمر، وثالثة باسم محاربة الاستعمار أو وحدة الأوطان، فإن تقنيات العصر اليوم جعلت المجتمعات العربية في قلب الحدث. لا يستطيع أي نظام في العالم اليوم أن يخدع شعبه. أو يقمع وعي شعبه. أو يُصادر عقل شعبه. أو يبتكر له فزّاعات تُرعِبه وتُثنيه عن التوق إلى الحرية والمشاركة، ناهيك عن رفض الظلم والجور والمعاملة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

المهينة. «الشارع العربي» الآن يقود التغيير في محيطه بنفسه. وأدرك أن بإمكانه فعل المستحيل إن كَسَر حاجز الخوف... وفعل. وهذا «البركان» الذي تتطاير حممه اليوم في كل الاتجاهات ظلّ يغلي، تحت الأرض، عقوداً طويلة من الزمن قبل أن ينفجر بين ليلة وضحاها. إن الغضب العربي الشامل ليس وليد صفعة مهينة تلقّاها التونسي محمد البوعزيزي على يد شرطية تونسية يوم 17 كانون الأول/ديسمبر 2010. وليس فقط لأن الناس لا تجد ما تأكله أو تلبسه. لكنه وليد منظومة من الإقصاء والاحتكار والكبت والظلم والعوز وقلة الحيلة. وكل أسباب هذا «الانفجار» سبق أن كُتبت في عشرات التقارير التي تُعنى بالتنمية الإنسانية في العالم العربي، وفي مجلدات لباحثين من داخل العالم العربي وخارجه. لكن من يقرأ مثل هذه الجهود في الأنظمة العربية المستبدة؟ أليست هي نفسها من أطلق تهم الخيانة والعمالة وخدمة «الأجندات» الخارجية ضد الباحثين والإصلاحيين الوطنيين الذين حذّروا من «الانفجار»؟ فعلاً: إن ربك يُمهِل ولا يُهمل. فتمادي الجَهَلة من صنّاع القرار في كثير من الأنظمة الاستبدادية العربية في إقصاء أصوات العقل والعلم في بلدانهم عمّق من الفجوة بين الناس والحكومات، وضاعف من حدة الحنق والغضب حتى وقعت الفأس في رأس الاستبداد! وهذا التعالي، والنظرة الفوقية، في التعاطي مع هموم الناس أثبت للمجتمعات الثائرة أنه لا أمل إلا بالتغيير

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الساحق والجذري. فمتى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ وكيف فهمتم حرص الآباء والأجداد على استمرار الكيانات السياسية القائمة من أجل وحدة الأوطان ومواجهة مخاطر التشتت والتشرذم كما لو كان ليس إلا خنوعاً وضعفاً وقبولاً بالاستعباد والاستبداد؟

نحن في العالم العربي لسنا جنساً مختلفاً عن بقية خلق الله، في الشرق أو في الغرب. ولسنا كائنات تعيش في كوكب غير الأرض. ولهذا فنحن جزء من التجربة البشرية تلك التي أيقنت، بعد قرون من الصراع والحروب والدمار، أن الحل في قيام دول المؤسسات لا دول العصابات. وعرفت أن المستقبل هو لمن يُقدّم تحديات الغد على جدال الأمس. وأن البقاء لمن يُقدّم مصالح بلده على مصالحه الخاصة. وهي اليوم تُدرِك أيضاً أنها تدخل عصراً جديداً بامتياز تكسر فيه كل جدران برلين التي عزلته طويلاً عن هموم مجتمعه وقضاياه وطموحاته.

ولكَ أن تسألَ: كيف لا تغضب الناس وهي تعيش الذل في أوطانها ليل نهار؟ وكيف تصبر على حالها وهي تقضي ثلاثة أرباع أعمارها في تسديد ديون البيت وتعليم الأبناء وعلاج الأقارب؟ وكيف لا تغضب وهي ترى هذا «الهدر» المخيف في مداخيل الأوطان وثرواتها؟ وكيف لا تثور وهي تعيش التهميش والإقصاء كما لو كانت لاجئة في أوطانها؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

إن كل الأحداث الباهرة التي يعيشها العالم العربي منذ 17 كانون الأول/ديسمبر 2010 قد تُبشّر بعصر نهضة جديد يبدأ بانتصار الإنسان العربي على الخوف من المجهول، نهضة تقدُّم الفكر على السياسة ومصالح المجتمع على أي مصلحة فئوية. إنها النهضة التي ستهيّئ أبناء المنطقة للعيش في عصرهم والتعامل مع العالم بكل ثقة واعتزاز بما تحقق من منجز. وما غلاف مجلة التايم الأخير -الذي حمل صور شبان مصريين أشعلوا فتيل الثورة في مصر- إلا بداية جديدة لنظرة مختلفة من العالم كله إلى الجيل العربي القادم، جيل كَسِبَ احترام أهله، فاحترمه العالم ورفع له قبعة الإعجاب والتقدير!

نعم! أنا -أخيراً- متفائل! وكيف لي ألا أتفاءل؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

وماذا عن «الشارع الخليجي»؟

2011-03-02

في ظل ما يشهده العالم العربي اليوم من «حراك» ضخم، لا مفرَّ أمامنا في منطقة الخليج من السؤال: أين بلدان الخليج مما يحدث على الأرض في الشارع العربي اليوم؟ وهل ما يحدث في بعض المدن العُمانية، وفي البحرين مؤشرات يمكن من خلالها قراءة المستقبل؟ وهل لا يزال بيننا من يُصر على أن «الخليج ليس مصر ولا تونس ولا ليبيا»؟

الصحيح أن تجربة التنمية في بلدان الخليج كانت مختلفة وأكثر وضوحاً من بلدان عربية نفطية أخرى، والصحيح أيضاً أن الاستقرار السياسي الذي عاشته بلدان الخليج في الخمسين سنة الماضية منحها فرصة أكبر وأفضل لتحقيق مستويات جيّدة في البُنى التحتية والتعليم والصحة والاقتصاد، لكن هذا لم يكن كافياً لضمان استقرار سياسي دائم لمجموعة من الأسباب. فوجود نسبة كبيرة من أبناء الخليج تحت خط الفقر، وهم يعيشون في بلدان

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

شديدة الغِنى، أقل ما يُقال عنه إنه فضيحة تنموية وسياسية. وتراجع الطبقة المتوسطة في بعض البلدان الخليجية شكّل معضلة اقتصادية واجتماعية ستؤثر عاجلاً أم آجلا في الاستقرار السياسي الذي تنشده مؤسسات الحكم في الخليج. والارتهان لفكرة أن كل من ينشد الإصلاح ليس سوى طالب سلطة أو مال، أخّر كثيراً من الخطوات التي كان يمكن لها أن تُسهم في بناء سياسي واقتصادي واجتماعي أكثر تناغماً مع آلية الحكم العائلي في منطقتنا. إنها فكرة مضللة أن نعتقد بأن بلدان الخليج كلها في منأى عما يحدث في الشارع العربي اليوم، فلقد أثبتت الأحداث الراهنة في مصر وتونس وليبيا أن الفقر أو البطالة لم يكونا الحافز الأكبر للتظاهر وحمل لافتة «الشعب يريد إسقاط النظام»، إنها منظومة من الأسباب، يكمل بعضها بعضاً، تلك التي تقود إلى الانفجار والثورة على كل شيء. هذه المنظومة يمكن أن تحمل عنواناً واحداً هو الكرامة! وهذه «الكرامة» تجرحها «العازة» والفقر والتهميش والإقصاء والإحساس بأن الإنسان يعيش في موطن أجداده كما لو كان ضيفاً ثقيلاً على أهل الدار! بل إن البعض في محيطنا نسف كفاح الأجداد من كل شبر من أرض بلاده من أجل وحدة تلُمّ الشمل، فظن أن البلاد ومن عليها «غنيمة حرب»، وإنْ جادلتَهُ بأي شأن وطني رد عليك بوقاحة: «نحن أخذناها بالسيف»! إذاً المسألة أكثر تعقيداً من الفقر والبطالة وكثرة الديون، إنها -شئنا أم أبينا-

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تَوقُ الإنسان إلى الشعور بالانتماء الحقيقي لوطنه، هذا الانتماء أبعد من تأمين الوظيفة والمسكن والعلاج، فالإنسان في وطنه ليس موظفاً في شركة أجنبية تؤمّن له «كومباوند» سكني متكامل، كما لو كان قطيعاً في «زريبة»!

الحقيقة الأخرى، أن أجدادَنا أيام حُكم القبيلة، كانوا مشاركين بفاعلية في حِراك القبيلة وقضاياها وهمومها وتركيبة «القيادة» فيها، بل كانت القبيلة هي نفسها عيناً تُراقِب أداء شيخِها وسلوكِه، وكان شيخ القبيلة قدوتَها ورمزَها، يستقي قوّته من قوة أبناء قبيلته، ولا يشذ عن رأي جماعته خصوصاً في تعاملاته مع القبائل الأخرى. إذاً المشاركة العملية والحقيقية بصناعة القرار ليست مطلباً غريباً أو خارجاً عن تقاليد مجتمعاتِنا، لكن هذا المطلب بات اليوم أكثر ضرورة لاستقرار منطقتنا سياسياً في ظل المتغيرات المهولة التي أنجبت لنا أجيالاً جديدة، وُلِدت وهي داخل التاريخ الإنساني المعاصر لا خارجه. فمن غير المعقول أن نتوقع من جيل الشباب اليوم -الذي يمثّل 65 في المئة من سكان بلداننا- أن يتقبّل ما تقبّله الجيلُ الذي قَبله سياسياً وثقافياً. ومن غير المنطق أن نُعامِل هذا الجيل، في نظرته إلى ذاته وإلى محيطه، بالطريقة نفسها التي عومل بها جيل الآباء والأجداد. ومن الخطأ الفادح أن نظن أن جيل الشباب في الخليج معزول عن أحداث الشارع العربي «الثائر» الآن في ميادين التحرير العربية، من شمال إفريقيا إلى جنوب الجزيرة العربية.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الخلاصة أن القيادات في منطقتنا بحاجة عاجلة جداً إلى استيعاب ما يحدث في بلدانها ومحيطها، ومن أجل الحفاظ على المكتسبات التنموية وتحقيق الاستقرار السياسي والسلم الاجتماعي المأمول، لا بد من البدء -اليوم وليس غداً- بمشاريع إصلاحية جادّة. هذه المشاريع لا بد لها من أن تأخذ جدّياً حق الإنسان بالمشاركة، قولاً وفعلاً، وتفسح مجالاً أوسع للحركة والتعبير، وتبدأ عملياً بتفعيل أفكار المفكرين المخلصين من أبناء منطقتنا، لتأسيس مؤسسات رقابية صارمة تُراقب الفساد وتحاسب المفسدين من دون أن تستثني أحداً.

بقي التذكير بالحذر من تلك المقولات (أو الأحلام) الخادعة تلك التي تقول «إن الشارع الخليجي غير»، لأن الشارع الخليجي فعلاً ليس «غير»، بل هو جزء أصيل من حِراك الشارع العربي الكبير، ولهذا فليس من المفيد تجاهل آمال وطموحات وإحباطات الشارع الخليجي، بل المطلوب الآن إقناع الشارع الخليجي بأن مشاريع الإصلاح الجادة قد بدأت فعلاً على الأرض وهي حق وطني لا «مكرمة» أو «منحة».

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الخليج وليبيا المستقبل!

2011-04-13

حسنا فعلَت دولة الإمارات العربية المتحدة ودولة قطر بدعمهما العلني للثوار في ليبيا. فمن يُسانِد الشعوب في سعيها الحثيث نحو التغيير ودخول العصر الحديث إنما يبني عُلاقة مستقبلية مع تلك الشعوب، عُلاقة قوامها التقدير والاحترام والتعاون. فمشاركة الإمارات وقطر مع القوات الدولية التي تفرض الحظر الجوي ضد قوات القذافي لن تكون فقط مفيدة لمشروع حماية المدنيين الليبيين من قصف القذافي العشوائي والهمجي، ولكنها أيضاً عربون صداقة طويلة مع شعب ليبيا الباحث عن الحرية والنماء. والمُراقب لخطاب القذافي وإعلامه الرسمي يسمع علانية عدوانية الخطاب ضد الإمارات وقطر، ويسمع لغة قوامها الشتيمة التي عرف بها القذافي في خصوماته الكثيرة.

وبما أن القذافي وفريقه يعتبرون الإمارات وقطر ضمن قائمة الأعداء، ولأن ظروف الثوار الليبيين تزداد صعوبة وقتامة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

-كونهم يخوضون تجربة المرحلة الانتقالية الصعبة- فليس أمام دول الخليج اليوم سوى الانتقال بدعمها إلى مرحلة جديدة.

في مقدّمة ما ينقص الثوار الليبيين يأتي السلاح والتدريب. سياسياً، تستطيع دول مجلس التعاون أن تبدأ بـ «لوبي» عربي لإقناع الولايات المتحدة الأمريكية ودول الناتو بأهمية دعم قوات الثوار -على الأرض- بالسلاح والتدريب.

نعرف أن أحد أبرز أسباب التلكؤ الأمريكي هو الخشية من دعم ثوار قد تكون لهم انتماءات لجماعات أصولية مثل القاعدة أو غيرها، وتلك فكرة روّج لها القذافي منذ سقوط بنغازي في أيدي الثوار الليبيين. لكن المرجّح أن التباطؤ في حسم المعركة لصالح الثوار ربما شجّع بعض مقاتلي القاعدة على الانخراط سراً في صفوف الثوار. التأخير في حسم المعركة لصالح ثورة الشباب في ليبيا ربما عقّد الأوضاع على الأرض وتلك أمنية القذافي.

والقول إن المعارضة الليبية «أصولية» الهوى خطأ سياسي واستراتيجي كبير. المعارضة الليبية التي غُيبت طويلاً متنوّعة وغنيّة بتعددية الأفكار والمدارس. ووجود متدينين في صفوف الثوار الليبيين لا يعني بالضرورة انتماءهم إلى القاعدة، كما يحرص القذافي وابنه سيف الإسلام على الترويج له.

بل إن ثورة الشباب الليبي كشفت عن عشرات الوجوه الليبية التي غيّبها القذافي على مدى أربعة عقود متواصلة من أطباء

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

وسياسيين وإعلاميين، قدرات عميقة في رؤاها، عقلانية في طروحاتها، متفائلة بمستقبل وطنها. المؤسف أيضاً أن ليبيا كلّها قد اختزلها القذافي بخصوماته وألقابه الطويلة وشخصيته متقلبة الأطوار!

إن من المصلحة الخليجية، على المدى البعيد، أن تدعم الثورة الليبية علناً، سياسياً وعسكرياً، لأن المستقبل هو لشباب الثورة الليبية التوّاق إلى الحرية والتنمية الإنسانية المشابهة لتلك التي تعيشها دول الخليج النفطية.

سمعنا كثيراً من شباب الثورات العربية المعاصرة من يتمنّى أن تحقق بلدانه نهضة وتنمية شبيهة بتلك التي يراها في مدن خليجية مهمة مثل أبوظبي ودبي والدوحة. دول الخليج أيضاً ضربت أمثلة حيّة بقدرتها على توظيف عوائد النفط في مشاريع عملاقة أنتجت اليوم شركات وطنية عالمية مثل «مبادلة» و«سابك» و«طيران الإمارات» و«أرامكو» ومثلها الكثير من المشاريع والأفكار الخلاقة. هذا الانطباع الإيجابي عن تجربة التنمية في الخليج لدى الآلاف من شباب الثورات العربية سيبني عُلاقة إيجابية مع شعوب الخليج إن ساندت دول الخليج، عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، الشباب العربي التوّاق إلى التنمية والحرية، تماماً كما تفعل اليوم الإمارات وقطر مع الثوار الأبطال في ليبيا.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

إن إطالة الحرب بين قوات القذافي المتفوّقة سلاحاً وتدريباً والثوار الذين لا تنقصهم الشجاعة والقدرة على الصمود لكن ينقصهم السلاح والتدريب، ليست من مصلحة أي أحد. خصوصاً الدول الخليجية التي ساندت علناً ثوار ليبيا. فتاريخ القذافي الدموي الطويل وخصوماته السياسية التي قادت بلاده إلى كوارث سياسية واقتصادية كلّها أدلّة حيّة على أن الرجل لن يتردد بالانتقام، بأي وسيلة، وفي أقرب فرصة! والأهم أن دعم ثورة الشباب في ليبيا هو رهان رابح على مستقبل ليبيا الذي سيديره شباب ليبي منفتح على العالم الجديد وتوّاق إلى تنمية إنسانية شاملة، قوامها العقل والمعرفة والاقتصاد القوي.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ارحل يا علي!

20-04-2011

إن استمرَّ عناد الرئيس اليمني علي عبدالله صالح في رفضه مطلب الملايين من شباب التغيير في اليمن بتنحّيه عن السلطة، فهو إذن يقود اليمن إلى حرب أهلية مُدمّرة. يتشبث هو بالسُلطة ويُصر شباب التغيير على قرارهم: ارحل يا علي! أم أن الرئيس فعلاً لم يأخذ بعد الأمر بجدّية تُواكب خطورة الموقف؟ واحدة من مشكلات علي عبدالله صالح أنه قد أدمن احتكار «اللعبة السياسية» في اليمن. مرة يُحرّك الإسلاميين، وأخرى يستغل فيها القبائل. يُطلق الفتنة الطائفية مرة، ويُهدد بالقاعدة مرة أخرى. يرقص أحياناً مع الثعابين، وينام حيناً مع الذئاب! مشكلته اليوم أنه يبدو غير مُدرِك أنه يلعب وحيداً وفي الوقت الضائع! حتى أولئك المقربين منه يبحث كثيرٌ منهم عن أقرب فرصة للنجاة من تلك الحُفرة التي يُصرُّ الرئيس على أن يتخندق فيها إلى آخر لحظة. من بقي معك يا فخامة الرئيس؟ بعض الوزراء الذين اعتادوا على الإهانات في مكتبك؟ أم قلّة قليلة من المنتفعين من

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أبناء العم والعشيرة؟ أما زلتَ تُراهن على مستشارك السياسي عبدالكريم الإرياني الذي ربما أنقذ اسمه قريباً من خطاياك فانسحب عنك بعد وقفاته الكثيرة معك وأنت كنت تكيد له في السر والعلن؟ سأستغرب حقاً على الصديق عبدالكريم الإرياني رهانه على «الحصان الخاسر» إن لم يتدارك أمره ويُعلن تأييده لشباب التغيير، وتلك ربما فرصته التاريخية للتكفير عن مساندته الطويلة لمن عاث وحاشيته في البلاد فساداً!

لماذا يعاند الرئيس اليمني كل الحقائق حوله ويُصر على البقاء في السلطة؟ ألا يعلم أنه بهذا إنما يلغي ما يُمكن أن يحسب له من إنجاز سياسي سابق؟

لن نهضم الرئيس اليمني إنجازه في مسألتين رئيستين: الوحدة والاستقرار النسبي. لكننا في الوقت نفسه ندرك أن ثمة «وجهاً آخر» للحكاية. ونعرف قائمة طويلة بالأسباب التي ساعدت على إنجاز مشروع الوحدة بين الشمال والجنوب. ونُدرِك أيضاً الأسباب التي هيّأت لليمن استقراراً نسبياً بعد صراعات طويلة بين العسكر من مخططي الانقلابات المتكررة قبل علي عبدالله صالح. لكن هذين المنجزين لا يبرران التعاطي مع رئاسة اليمن كما لو كانت «غنيمة حرب» أو إرثاً عائلياً! علي عبدالله صالح رئيس جمهورية وليس سليل عائلة حاكمة ارتضاها الشعب. والوحدة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

التي أسهم الرجل في إنجازها لا تبرر إهماله المتعمد للتنمية في مناطق الجنوب، والتعامل مع هذه المنطقة وفق عقلية المنتصر والمهزوم. والوحدة لا تعني أبداً استعماراً أو تهميشاً وإقصاءً لأبناء الجنوب. بل إن دعوات الانفصال التي نادى بها كثير من أبناء الجنوب في السنتين الأخيرتين ما كنا سنسمعها لولا تمادي علي عبدالله صالح في تهميش المنطقة وأهلها. والدليل على أن دعوات انفصال الجنوب ما جاءت إلا بسبب سياسات الرئيس ومن حوله، هو أن تلك الدعوات اختفت تماماً منذ بدأ شباب التغيير في المطالبة بتغيير النظام ورحيل علي عبدالله صالح. هكذا يقود الفساد الأوطان إلى الفتن والانقسام والانفصال! قبل أيام كنت على الهاتف مع المهندس حيدر أبو بكر العطّاس، رئيس الوزراء اليمني السابق، وأبرز المعارضين المنادين بالانفصال، فأكد لي أن أسباب الدعوة إلى الانفصال ستزول برحيل علي عبدالله صالح؛ لكأنّ الرئيس نفسه يمكن أن يكون السبب في تدمير أهم ما يعتقد أنه أكبر منجزاته الوطنية!

أما الاستقرار السياسي الذي يزعم علي عبدالله صالح أنه تحقق في عهده فهو بالحقيقة لم يتجاوز وقف مزيد من الانقلابات العسكرية. لقد انشغل الرئيس اليمني وأشغل اليمن معه بلُعب سياسية أجاد الرئيس إدارتها. وفي زحمة الانشغال باللعبة السياسية دفعت التنمية في اليمن ثمناً باهظاً، ما قاد إلى تصنيف

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

اليمن في قائمة «الدول الفاشلة». ولك أن تسأل: أين مؤسسات الدولة الحديثة في اليمن؟ وأين مشاريع البُنى التحتية؟ وكيف تفاقمت أزمات اليمن الاقتصادية فأصبح 40 في المئة من سكانه يعيشون تحت خط الفقر مقابل أعلى نمو سكاني في العالم وصل إلى 3 في المئة سنوياً؟ وفي ظل هذه الأوضاع البائسة -التي دفعت بالمواطن اليمني إلى أن يُضاعف من استهلاكه المميت للقات- ما فائدة «الاستقرار» الذي يُصر علي عبدالله صالح على أنه حققه لليمن على مدى ثلاثة عقود؟

ولكي لا ينطبق علينا هنا المثل العربي القائل «إذا طاح الجمل كثرت سكاكينه»، فلا بد من التذكير بأن الأسئلة أعلاه وغيرها سبق أن سُئلت كثيراً هنا (وفي أماكن ومناسبات أخرى). والكتابة عن اليمن اليوم فوق أنها مسؤولية مهنية وأخلاقية تجاه أهلنا في اليمن هي أيضاً مسؤولية تجاه بلداننا في الخليج. فتدهور الأوضاع في اليمن لا بد من أن ينعكس -بأشكال عديدة- على دول مجلس التعاون الخليجي. وإصرار الرئيس اليمني على التمسّك بالسلطة ربما قاد إلى حرب أهلية قد تَجرّ دول الجوار إلى فتن طائفية وقبلية تزيد من مساحة الخطر وحجم التهديد على مستوى المنطقة كلها. ولهذا يأتي المسعى الخليجي لإنهاء الأزمة اليمنية في صلب مصلحة الأمن القومي الخليجي. لكن هذا المسعى يظل ناقصاً ما لم ينص صراحة على تنحي الرئيس علي عبدالله صالح

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ورحيله نهائياً وسريعاً عن المشهد السياسي في اليمن بعد أن احتكره لأكثر من ثلاثين سنة. وبرحيله ستفتح دول الخليج صفحة جديدة من التعاون الجاد مع اليمن، وربما عاد اليمن يمناً سعيداً بعد أن هيمن عليه البؤس طويلاً. فهل يسمع الرئيس نداء الملايين من شعبه.. ويرحل؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

اليمن: وماذا عن شباب التغيير؟

2011-04-27

يظن المراقب للمشهد السياسي اليمني اليوم ربما أن الأزمة السياسية الحالية هي فقط بين الرئيس والمعارضة. قليل من يصغي لمئات الآلاف من شباب التغيير في ميادين التغيير في صنعاء وعدن وتعز وإب وغيرها. النظام يتحاور عن طريق وسطاء مع المعارضة، والمعارضة ترص صفوفها وتُعيد حساباتها وفقاً للعبة المصالح السياسية الجديدة، ومن أجل أن تصبح بديلاً من النظام القديم. وهكذا يراد لليمن أن يستبدل نظاماً قديماً بمعارضة قديمة. ينتمي النظام والمعارضة للتجربة السياسية نفسها، ويدوران في الحلقة نفسها! وماذا عن شباب التغيير؟ من يتكلّم باسمهم في تلك المفاوضات التي تدور بين النظام والمعارضة؟ إن كان النظام قد أدمن اللعبة السياسية فإن البعض في المعارضة يمارس انتهازية سياسية لن يتردد بسببها في تقديم تنازلات كبرى من أجل إزاحة النظام القائم وتقسيم

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

«كعكة» السُلطة بين خصوم النظام التقليديين في الشمال أو في الجنوب. رموز المعارضة التقليديون -في الداخل أو الخارج- وجدوا فرصة ثمينة هيّأها لهم -من دون قصد- شباب التغيير، فركبوا موجة «التغيير» من أجل الوصول إلى السلطة. هذه ليست دعوة إلى القطيعة الكاملة مع المعارضة اليمنية (من داخل أحزاب المشترك أو خارجها)، وليست تقليلاً من أدوار المعارضة في السابق، أو تهميشاً لجهودها وتضحياتها. لكنها دعوة إلى العدالة والموضوعية في فهم محرّكات التغيير في الشارع اليمني اليوم. ليس من مصلحة اليمن أن تحتكر المعارضة التقليدية الخطاب السياسي المعارض. وليس من فائدة اليمن أو دول الجوار أن تسرق جهود شباب التغيير وتضحياته كي يصل خصوم الرئيس اليمني التقليديون إلى السلطة والبدء بسلسلة من «تصفية الحسابات» القديمة والجديدة على حساب اليمن وشبابه الأبطال.

إن أفضل هدية يمكن أن تقدمها أحزاب المعارضة لليمن هي أن تفسح الطريق كي نسمع صوت شباب التغيير في ميادين التغيير اليمنية، أولئك الذين ينامون في العراء ويتلقون الرصاص الحي في صدورهم منذ أشهر. لقد سئمنا ذلك الخطاب السياسي القديم الذي يختزل المشهد اليمني في طرفين فقط، هما النظام والمعارضة. ميادين التغيير اليمنية تحمل خطاباً جديداً مختلفاً يتناغم ولغة العالم اليوم، ويبحث في أفضل طرق البناء والتنمية

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

والانفتاح على العالم. ولهذا فإن من أراد باليمن خيراً مُطالبٌ بأن يشرك شبابها في حوارات المستقبل، وفي كل المفاوضات التي تبحث عن حل للأزمة اليمنية. الحوار مع شباب التغيير هو حوار مع المستقبل، والتفاوض مع المعارضة فقط هو سبيل لإبقاء اليمن طويلاً في مأزقه السياسي ومشكلاته التنموية. ومخطئون أولئك الذين يصوّرون المعارضة اليمنية كما لو كانت أطيافاً ملائكية ستكون «عصا سحرية» تنتهي بها كل مآسي اليمن من فقر واستبداد وغياب شبه تام لكل مقوّمات الدولة الحديثة، بل إن في داخل بعض رموز المعارضة «استبدادي» آخر سيُعبّر بشكل أو بآخر عن تلك الروح الاستبدادية متى ما تهيّأت الفرصة! وإن أسوأ الأسئلة وأكثرها إهانة لأي شعب هو ذلك الذي يسأل: ولكن أين البديل؟

إن ميادين التغيير الكثيرة في اليمن مؤهلة وبجدارة لإنتاج وجوه سياسية شابة قادرة على التواصل مع الداخل اليمني، ومع الخارج من أجل بناء اليمن الجديد، اليمن الموحد القادر على التعامل مع معطيات الحداثة، بل والمتفوق بشبابه في ميادين التقنية والبناء، فحتى في ظل الظروف الاقتصادية والسياسية القاسية، كم أخرجت اليمن من قدرات شبابية مُبدعة في التجارة والتقنية والفنون والاتصال؟ كم من قصة نجاح مبهرة لشباب يمني عصامي تألق في عطائه في الخليج أو نيويورك أو شيكاغو

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أو شنغهاي؟ من سيخرج اليمن من أزماته السياسية والاقتصادية والاجتماعية ليس رموز المعارضة في الخارج أو في الداخل بل شباب اليمن الجديد، في الداخل والخارج، ممن يتوق إلى يمن جديد يستثمر أوّلاً في طاقاته البشرية، وينفتح إيجابياً على دول الجوار، ويتجاوز سريعاً حسابات لعبة الأمس السياسية التي أرهقت اليمن وشعبه طويلاً.

إن الكلمة الأولى والأخيرة لحل الأزمة اليمنية وفتح صفحة اليمن الجديدة لا بد من أن تكون بيد شباب التغيير أوّلاً، فهم من يجب فعلاً أن يقرر شكل المستقبل اليمني وأطياف العمل السياسي القادم، وأولئك الشباب المبهر في ميادين التغيير هم الأقدر والأجدر بإدارة مستقبلهم بأنفسهم، مستقبل يبعد اليمن عن «اللعبة السياسية» المملة، ويفتح له أبواب العصر الجديد الذي يمنح فرص النجاح الحقيقية إلى أولئك الذين لا ينشغلون بالماضي قدر انشغالهم بالمستقبل!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أفول جمهوريات ما بعد الاستقلال

2011-05-18

كانت فقط مسألة وقت وتتهاوى جمهوريات ما بعد الاستقلال العربية، واحدة بعد الأخرى. وإن لم تنطلق الشرارة من تونس كانت لتأتي من مكان آخر في العالم العربي. مقوّمات السقوط كانت متأصّلة في تركيبة «الجمهورية» من أيامها الأولى. وأبرز تلك المقوّمات كان غياب المبادئ الرئيسة للنظام الجمهوري مثل وجود مؤسسات مستقلة ترعى وتضمن تبادل السُلطة وتُراقِب أداء الجهاز التنفيذي وتُعطي حصانة واستقلالاً للقضاء. حكم الفرد المطلق -مهما كانت نواياه حسنة- يتحوّل تدريجياً إلى ممارسة استبدادية مطلقة. الجمهوريات العربية لم تأتِ نتيجة تطور سياسي تدريجي، أخذ وقته بالتشكّل، وإنما كانت من نتاج انقلابات عسكرية قادها -في أكثر النماذج- ضباط شباب برتبة عقيد (أي في الثلاثينيات من العمر).

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الهاجس الأمني -وتصفية الحسابات مع رفاق العسكرية- كانت أيضاً ضمن أولويات قيادة «الجمهورية» الوليدة! تصفية الحسابات تلك، القديمة والجديدة، تُؤسّس لحالة من الحذر الأمني خشية الانتقام -أو الانقلاب- المرتقب في أي لحظة الأمر الذي يُغلّب الهاجس الأمني على بناء مؤسسات الدولة والبدء بمشاريع تنموية جادة. أضف إلى ذلك أن معيار تعيين المستشارين والوزراء يصبح في الغالب على أساس الثقة والولاء لا التأهيل والخبرة. ولهذا تأخّرت التنمية -حتى في الجمهوريات العربية النفطية مثل الجزائر وليبيا والعراق- وباتت العُلاقة بين السلطة والمجتمع متوترة جداً لأنها علاقة قائمة على الخوف والترهيب والشك المتبادل لتصبح بعضها جمهوريات للخوف.

الجمهورية الحقيقية لا تأتي بانقلاب عسكري. والعسكر وحدهم لا يستطيعون بناء الجمهورية المدنية. إنها تكون نتاج «عملية» سياسية طويلة، وقد تكون حلاً منطقياً لحروب أهلية وصراعات داخلية فلا يجد المجتمع -في نهاية المطاف- بديلا من نظام سياسي يحقق التوازنات الأساسية، ويحوي تنوع المجتمع الواحد فكرياً وإثنياً. لا يُمكن أن تأتي الجمهورية بقرار عسكري. إنها تأتي بوفاق جمعي من داخل المجتمع الذي يرتضيها منظومة متكاملة لآلية الحُكم وشكل الإدارة. وهي أوّلاً وقبل أي شيء ثقافة شاملة تؤسس لممارسة ديمقراطية فيها وعي وإيمان كامل

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

بفكرة الانتخاب وديمقراطية العملية السياسية، أي قبول الهزيمة السياسية ودخول اللعبة السياسية التي تقننها الدساتير والقوانين وتراقبها الصحافة ويحميها القضاء. هذه تجربة معقدة وعميقة لا يستطيع مجتمع تحكمه -في جوهره- ثقافة القيادة التقليدية (شيخ القبيلة أو كبير العائلة)، وما زال وفيّاً للوصاية الأبوية، أن يقفز فجأة إلى ثقافة الجمهورية بتعقيداتها السياسية والثقافية. إذاً لم تكن لدينا في العالم العربي جمهوريات حقيقية. كل ما حدث -في غالبه- كان انقلاباً على ثقافة القيادة التقليدية واستبدالها بوجوه جديدة رفعت شعار الجمهورية ووضعته في عنوان الدولة. وهذا ما خلق الأزمة: فلا القيادة التقليدية بقيت في دائرتها التقليدية ولا الجديدة -التي لا تملك الشرعية الاجتماعية لتحل محل سابقتها- قدّمت نموذجاً (جمهورياً) يُبرر اختطافها لموقع القيادة التقليدية في مجتمعها. القيادة التقليدية في المجتمعات العربية تستمر في مكانتها لأن مجتمعاتها تعتقد بالحاجة إلى بقائها. بالمقابل، تلك التي سمّت بلدانها بالجمهورية بقيت في مواقعها القيادية بالإكراه وزرع حال الرعب في المجتمع. ولهذا لم يكن مفاجأة لمن رصد الحالة السياسة العربية أن يرفع الليبيون علم الملكية الليبية (وبعضهم طرح صراحة فكرة عودة الملكية) في أول يوم انطلقت فيه الثورة الليبية في بنغازي. لكأنّ العقيد القذافي بمغامراته السياسية واستخفافه الطويل بشعبه أراد من غير أن يقصد أن

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يزرع حنين الليبيين إلى فترة الملكية السابقة لأن البديل (أي القذافي) كان وبالاً على ليبيا وأهلها. أم أن العقيد مُعمّر القذافي قاد الانقلاب ليزيح عائلة مالكة ويستبدلها بنفسه وأبنائه ... باسم الجماهيرية؟

إن فكرة الحُكم في العالم العربي -بخاصة بعد فشل جمهوريات ما بعد الاستقلال- يتنازعها مساران: الأول ديني والثاني قبلي. ففي الديني، بقي هاجس الدولة الدينية محركاً أساسياً للجماعات الدينية التي تعيش حلم دولة الخلافة وهي «نوستالجيا»، حيث كانت العشيرة تحكم باسم الدين، كما تحكم الآن باسم الجمهورية. والثاني، أي القبلي، نشأ تلقائياً ووفق معايير القيادة التي فرضتها ظروف القبيلة في مرحلة ما، وحافظت عليها القبيلة من منطق الحاجة إلى قيادة تمثّلها أمام القبائل الأخرى وتلجأ إليها لحل خلافاتها أو قضاء حاجاتها. أيُّ النموذجين أقدر على تبنّي فكرة الدولة الحديثة، دولة المؤسسات؟ كل الذي جرى أن «العشيرة» أوجدت لنفسها مبرراً دينياً لتحكم حتى جاءت عشيرة أخرى وأسقطت حكمها. والجمهورية -بشكلها المعاصر- لم تأتِ إلا بعد صراع طويل من الأفكار والحروب والتحوّلات الكُبرى في أوروبا على مرّ قرون. وهي -الجمهورية- في العالم العربي فكرة لا تزال أسيرة ثقافة سياسية مرتبكة تتنازعها الرغبة العشائرية في الاستحواذ، وبالتالي التوريث.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

من هنا قد يشكل حراك ميدان التحرير في القاهرة وساحة التغيير في صنعاء نواة لمشروع سياسي عربي ربما أسس لثقافة سياسية تعيش داخل العصر لا خارجه. فأولئك الشباب الذين يصفهم البعض بـ«البراءة» واضح جداً أنهم على صغر سنّهم أدركوا سرَّ فشل الجمهورية: تأليه القائد وعشيرته وتجريم النقد وتكتيم الأصوات ووضع القضاء في الجيب!

براءة شباب التحرير والتغيير قد تكون نواةَ الجمهورية العربية القادمة تلك التي تسابق الآخرين نحو المستقبل، لا تلك التي تختزل الدولة كلّها في الرئيس وعشيرته!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ليبيا... العبرة بالنهايات وهكذا كانت النهاية

2011-10-27

تلك النهاية التراجيدية لمُعمّر القذافي، ربما لخّصت حكاية الديكتاتورية في منطقتنا. فالزعامة التي تتعالى على شعوبها ولا تعرف كيف تقرأ التحوّلات المُتسارعة من حولها، داخل بلدانها وخارجها، ناهيك عن قدرتها على قراءة التاريخ وفهم عبره، لا بد من أن تنتهي هكذا.. مثل نهاية القذافي!

هذا ليس مقاماً للشماتة في من ذهب إلى حتفه، وليس تبريراً لمن أطلق «رصاصة الرحمة» على القذافي، فتلك قصّة أخرى. لكنني هنا أتأمل تحديداً في نهاية الديكتاتور. سبحان الله؛ كيف تتشابه (إلى حد التطابق) نهايات الطُغاة على مر التاريخ؟ وهنا يكمُن الفرق في النهايات بين من تخرج الملايين طواعية لوداعه الأخير، وبين من ترقص فوق جثته جموع المظلومين والمقهورين والمُهانين، بسبب بطشه وغطرسته وجنون عظمته! هذا ليس وقت

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الشماتة، وكيف لنا أن نضيّع فرصة الفرح بانتصار الليبيين في ثورتهم، بالشماتة من متغطرس لقي حتفَه كما أراد هو لنفسه؟

على مدى الأشهر الماضية كنتُ، مثل كثيرين غيري، أسأل: ما الذي يدفع بالقذافي وأولاده لإطالة وقت المواجهة المحسومة سلفاً لصالح الثورة؟ هل هي «مناورة» من أجل التفاوض على خروج يضمن لهم عدم الملاحقة القانونية على جرائمهم وهدرهم المجنون لثروات الليبيين وطغيانهم واحتقارهم للبلاد وأهلها؟

كانت المعركة محسومة لصالح الليبيين، على الرغم من الفارق النوعي بين أسلحتهم وأسلحة كتائب القذافي. كان الثوار يملكون السلاح الأقوى، ألا وهو إيمانهم بثورتهم وبأن النصر حليفهم، وأن المستقبل لهم. ما إن يكسر المرء حاجز الخوف في داخله حتى يبدأ مشوار الانتصار، خصوصاً في معركة الانتصار للذات من ذل الأنظمة القمعية وإهاناتها.

وإلى أسابيع قريبة كانت ثمة فرصة للقذافي لأن يخرج من ليبيا بسلام ويذهب - إلى غير رجعة - إلى أحد البلدان التي أغدق عليها من ثروات الليبيين في لعباته السياسية السخيفة، ومن أجل ألقابه الكثيرة من ملك ملوك إفريقيا إلى عميد الحكام العرب! حينها سألت صديقاً يتابع الشأن الليبي: وكيف يمكن للقذافي أن

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يعيش من غير خيمته وخطاباته المضحكة؟ قال صديقي إن الثوار -وقتها- كانوا يفضّلون حقن الدماء، حتى وإن كان الثمن السماح للقذافي وعصابته بمغادرة ليبيا إلى دولة ترحّب باستضافته.

وهناك بإمكانه نصب «خيمة الكذب» في حديقة قصر منفاه، وله أن يحوّلها إلى «استوديو» في قناة فضائية عربية يشتريها مثلما اشترى غيرها، ويواصل إمتاعنا بتهريجه وأزيائه البهلوانية! أم هي القدرة الإلهية العادلة التي قادت القذافي إلى النهاية المهينة التي يستحقها؟

إن ربك يُمهل ولا يُهمل! فهذا «المهرّج» الذي أتحفنا بتهريجه طويلاً، كان يقود بلاده وشعبه نحو التهلكة. أذكر زميلاً ليبياً كان، في بداية الثورة، يحذّرنا بحُرقة: «لا يشغلكم القذافي بتهريجه عن الانتباه لجرائمه»! ويضيف: «إنه مجرم وليس ممثلاً كوميدياً». انشغلنا لعقود بخطابات القذافي ومقابلاته وملابسه، عن جرائمه الخطيرة بحق الليبيين من إهدار لأرواحهم وثرواتهم ومستقبلهم. كان القذافي قد اختزل ليبيا بثرواتها وتاريخها وأهلها، في شخصه هو وحده لا منافس له. وفي مجونه السياسي أهدر ثروات ليبيا على شراء الذمم في الشرق والغرب، ليس لخدمة مشروع سياسي ليبي، وإنما لستر عوراته من إرهاب إلى شراء ألقاب إلى مؤامرات ضد من يجرؤ على الاختلاف معه.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لقد عانى الليبيون طويلاً من نظرة العالم إليهم وتصنيفهم في دوائر الإرهاب، بسبب «البلطجة» التي لم يُتقن سواها مُعمّر القذافي وأجهزته الأمنية. وحينما انطلقت الثورة، فوجئ العالم بثروة بشرية خنقها القذافي أربعة عقود. فجأة اكتشفنا أن في ليبيا ـ من المقموعين في الداخل والمشردين في الخارج ـ عقولاً متألّقة في إنسانيتها وعلمها ووعيها. ولهذا، وعلى الرغم من القلق المشروع على مستقبل ليبيا، يطمئن الراصد للمشهد الليبي الجديد أن شباب ليبيا قادر، بوعيه الجديد وانفتاحه على حقائق عالمه، على إثبات أن ليبيا الجديدة عازمة على دخول العصر الجديد، لا البقاء رهينة لزمن القذافي بمؤامراته وجنونه.

وهكذا نُراقِب المشهد الليبي بعيون متفائلة في شباب الثورة، الذين يستطيعون استبدال عقلية «الثأر» بروح التسامح والعمل الإيجابي. إنهم مطالبون بالخروج من حقبة القذافي وطي صفحتها نهائياً، والدخول بثقة وحنكة إلى عالم جديد مليء بالتحديات والفرص الذهبية لبناء دولة المؤسسات، القادرة على بناء اقتصاد قوي ونظام سياسي لا يختزل الدولة في «الزعيم»، ولا يُقدّس المسؤول، أو يضعه في مكانة من لا ينطق عن الهوى. فهل يعتبر شباب الثورة الليبية (وأقرانهم في العالم العربي) بنهاية القذافي، وهم يبدأون مشروع الدولة الجديدة؟ هنا يبدأ التحدي!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

في الربيع العربي: لكيلا تتكرر المأساة

2011-11-02

لنتفق أو نختلف حول تسميته بـ«الربيع العربي»، سمِّه ما شئت. دعنا لا نُشتت الجهد في الخلاف حول التسمية، المهم هنا أننا أمام مرحلة تغيير كبرى يشهدها العالم العربي. ومُخطئ من يختزل هذه المرحلة فقط في الإطاحة برأس الهرم في أي منظومة ديكتاتورية في العالم العربي. صحيح أن إسقاط «الرئيس» يُشكّل علامة فارقة في المشهد، إلا أنها تبقى مسألة «رمزية» لمرحلة التحول العربية.

الخطوة الأولى والأساس في هذه المرحلة، هي تجاوز الإنسان العربي لعقدة الخوف «السياسي» الذي زُرع فيه قصداً، عبر ممارسات منظمة باشرتها الأنظمة العسكرية في عالمنا العربي، تلك التي قالت في بدايات عهدها إنها جاءت من أجل تحرير شعوبها، فإذا بها تستعبدهم وتُنكّل بهم من أجل تحويلهم

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

إلى قطعان بشريه لا تُفكّر في غير قوت يومها.. هنا يبدأ التحول. أما الخلاص من الديكتاتور -على أهميته- فإنما يُشكّل خطوة واحدة في مسيرة طويلة وصعبة ومعقّدة، لكنها ليست مستحيلة.

فما دُمّر وخُرّب -على كل المستويات- على مر عقود، لن يُصلّح بين ليلة وضُحاها، أو بمجرد الخلاص من رأس الهرم. المهم اليوم أن المواطن العربي قد عرف سرّ قوته، وهو تجاوز الخوف من الديكتاتورية، وترتيب أموره بنفسه بدلاً من تصديق الوعود الكاذبة بالإصلاح، داخلية كانت أم خارجية.

ولكيلا يتحول هذا «السر» إلى طريق سهلة للفوضى، أو يُستَغل لأجندات سياسية تُعيدُنا إلى المربع الأول، تأتي الحاجة ماسة إلى «خارطة طريق» فكرية تؤصّل للمستقبل العربي القادم. لسنا بحاجة إلى اختراع العجلة من جديد، لكننا معنيون بدراسة تجارب الآخرين وفهمها والاستفادة منها. التجارب الإنسانية الكبرى هي تجارب مشتركة، يمكن أن تعيننا من أجل الوصول إلى نظام يحمي الفرد من طُغيان السياسي، ويُقدّم أجندات التنمية على ألاعيب السياسة ودهاليزها. انتهى عصر القرار الفردي، وحان عهد الشراكة في صناعة القرار.

إن من شروط البقاء في العصر المقبل، وجود آلية إدارية (وسياسية) قادرة ومؤهلة على فهم لغة عصرها ومجاراتها.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

وهذا يتطلب أولاً التأسيس لثقافة حقيقية، تحترم التنوع في الآراء والتوجّهات والمذاهب والأفكار، ثقافة لا تفرض «الرأي الواحد» وتمقُت الإقصاء، وتفهم معنى ديمقراطية العمل السياسي وحريّة التعبير، واحترام القوانين وحقوق الإنسان. لا بد من التأسيس لثقافة المؤسسات، خاصّة الرقابية منها، تلك التي تحمي المجتمع من الطغيان السياسي وتردع الفرد من التمادي في استغلال سُلطاته.

هذه المفاهيم السياسية لتأسيس مجتمع دولة المؤسسات، لن تأتي بمجرد الخلاص من نظام سياسي، أو بمحاكمة رئيس أو إعدام ديكتاتور. إنها ثقافة تتطلب، من أجل التأسيس لها، منظومة من المشاريع الكبرى، تبدأ بالفكر ولا تنتهي بقيام نظام سياسي ديمقراطي.

هي -كما أسلفنا أعلاه- مهمة صعبة وشديدة التعقيد، لكنها ممكنة متى اتفقنا أولاً عليها باعتبارها أساساً تنطلق به ومنه المرحلة القادمة. كفانا مصادرة للرأي الآخر بأعذار واهية استخدمتها الأنظمة القمعية طويلاً، لتخويف الناس بعضها من بعض، ولخلق الفرقة بين فئات المجتمع، لتبقى «الشلّة الحاكمة» هي الملجأ الأول والأخير لفئات المجتمع المتصارعة على حق أو باطل! ففي ظل نظام جديد تحميه إرادة الناس، تلك التي شهدنا بعض مَلامِحَها في ميدان التحرير وميادين التغيير في العالم

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

العربي، سنقول سياسياً لكل من يقدّم وعود التغيير: الميدان يا حميدان! فمتى ما صوتت الناس لحركة أو حزب أو توجّه، وجب احترام رغبة الغالبية.

وبالتالي تبدأ مسؤولية أصحاب الوعود في أن تحقق لناخبيها وعودها. لم يعد يجدي تخويف الناس من «الإسلام السياسي»، أو من «القبيلة»، لأن غالبية الناس في عالمنا العربي (بخاصة من فئة الشباب التي تشكل الغالبية الساحقة)، معنية بقضاياها الجوهرية اليومية من اقتصاد وإدارة، وهي أكثر التصاقاً بحقائق التغيير في محيطها وخارجه. العالم من حولنا يتغيّر في الساعة الواحدة، ومثلما نتأثر بالآخرين يتأثر بنا الآخرون. انظر إلى حراك الشباب الأمريكي الراهن في منطقة وول ستريت بنيويورك، من حفّز الشباب هناك للتظاهر والاعتصام ضد المؤسسات المالية العملاقة في الولايات المتحدة الأمريكية؟

أليست تجربة ميدان التحرير في القاهرة من التجارب التاريخية المُدهشة حتى للمتظاهرين في وول ستريت؟ ألم نُشاهِد متظاهرين كُثُراً حول العالم يحملون لافتات كُتِب بعضها بالعربي تقول: ارحل؟! هذه المشاهد لا يمكن أن تختزل بأوصاف يُردّدُها بعض الممتعضين من «الربيع العربي»، كأن يُقال عنها «هامشية»

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أو «انفعالية». إنها -على الأقل هنا- نماذج لتفاعل الشباب حول العالم مع قضاياهم، وتأثّرهم حتى بأدوات التعبير (حول العالم) في امتعاضهم من الفساد المالي والسياسي في محيطهم.

ولهذا فإن مشاركة جيل الشباب العربي في رسم «خارطة الطريق» لمستقبلهم، ضرورية وأساسية. وهُم ليسوا فقط من يُفترَض بهم أن يُسهموا بإدارة شؤونهم مستقبلاً، ولكنهم أيضاً وقود الحراك الذي يعيشه العالم العربي اليوم. هؤلاء قادرون على معرفة الأساليب الأصلح لتحقيق أجندات التنمية في مجتمعاتهم، ومثلما استطاعوا بجدارة إشعال فتيل «الثورة» في أكثر من بلد عربي، هُم أيضاً قادرون في المستقبل القريب على قلب الطاولة بوجه أصحاب الوعود الكاذبة، والبحث -من جديد- عن بديل لا يُسخِّر خطابات الدين والسياسة من أجل الوصول فقط إلى السلطة وتكرار المأساة!

نعم... هي تجربة طويلة لن تحقق نتائجها في غمضة عين، لكنها تجربة ضرورية لا بد من أن تبدأ من نقطة ما. إننا -على كل حال- نشهد بدايتها والبدايات عادة هي أصعب المراحل!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الشارع يا فخامة الرئيس

ketab.me

لكأنها حجارة من سجيل! هكذا جاءت ثورةُ الشباب العربي على أنظمة الاستبداد في أكثرٍ من بلد عربي. فلو قيل لك قبل 25 كانون الثاني/يناير إنٍ رئيساً عربياً حكم البلاد والعباد، وعاثَ في الأرض جبروتاً وغروراً، سيسقط في 18 يوماً لربما قلت إن ذلك من ضربٌ الخيال. ومن كان يتوقّع، قبل ربيع الغضب العربي، أن ينتهي مُعمّر القذافي تلك النهاية على أيدي ثوار ليبيا بعد أن احتكر ليبيا كلها على مدى 42 سنة، واختزلها بجنونه وحماقاته وكتابه الأخضر؟

لم تأت التحوّلات التي يمر بها العالم العربي منذ أشهر من فراغ. ولم تتوالدَ بين ليلة وضُحاها. إنها نتيجة طبيعية لتراكمات من الغضب الشعبي الناتج من كل أشكال الاستبداد السياسي على مدى عقود. قبل الربيع العربي لم نكن نسأل: هل ستأتي الثورة. كان السؤال: متى ستبدأ الثورة؟ وها قد بدأت.

يضم هذا الكتاب مجموعة أفكار وقراءات حول الحالة العربية قبل الثورات العربية، في محاولة لرصد مسببات التراجع العربي على أصعدة الفكر والسياسة والاقتصاد والتنمية إجمالاً. كما يضم أيضاً نصوصاً ترصد وتحلل في الراهن العربي الجديد وتحتفي بالتغيير، وتعكس تفاؤلاً حذراً بمستقبل الربيع العربي.

ISBN 978-9953-566-76-4

9 789953 566764

Madarek مدارك

Madarek Publishing House دار مدارك للنشر

kutub-pdf.net